الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :...../.....

رقم التسجيل: .....

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص :.....

بعنوان :

الخطاب القرآني وأبعاده الدلالية في "سورة النور"

مقاربة لسانية تداولية

إعداد الطالب :

علي تيس

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

د: نور عبد الرشيد	الرتبة	جامعة المسيلة رئيسا
د: حورية زلاقي	الرتبة	جامعة المسيلة مشرفا ومقررا
د: خلوفي مفتاح	الرتبة	جامعة المسيلة ممتحنا

السنة الجامعية : 2017 / 2018

شكر وعرفـــــــان

الحمد الله حمدا حمدا ، والشكر لله شكرا شكرا ، واشهد ألا اله إلا الله كما يحب ويرضى

أماّ بعد :

فإني أتوجه بجزيل الشكر بعد المولى عزّ وجل إلى الأستاذة المشرفة: سماحة الوالدة الدكتورة: حورية زلاقي على صبرها معنا وتوجيهاتها ونصائحها وكل جهودها المبذولة في سبيل إخراج هذا العمل ليبلغ صورته النهائية ، كما أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور: سليمان بوراس خاصة وكل أساتذة جامعة محمد بوضياف بالمسيلة وإلى كل محبي اللغة العربية.

مقدمة:

تعرف اللسانيات العربية اليوم انفتاحا حضاريا واسعا على الفكر الغربي من خلال الوقوف على التحليلات والنظريات التي عرفها العالم في العقود المتأخرة ، ولعلّ من أبرز العلوم الغربية التي انفتحت عليها اللسانيات العربية في الآونة الأخيرة ما عرف عند العرب بالتداولية.

تعدّ التداوليّة من أحدث المناهج التي استطاعت أن تفرض وجودها على الساحة العلمية من خلال تناولها لمواضيع متعددة ، خاصّة المواضيع التي لها صلة مباشرة بواقع الاستعمال اللغوي لاهتمامها بالخطاب والمتخاطبين والعملية التخاطبية وكيفية الاستدلال عليها ، من جهة أخرى فقد فرض هذا الفكر اللساني الغربي على الباحث العربي أن يعقد حوار مثمرا بين الماضي والحاضر، ممّا سمح بالكشف عن وجود امتداد للتحليل التداولي في كتب السياق العربية القديمة ، فاستخدمه العرب في القديم ضمن سياقات وأنساق مختلفة من بلاغة ، ونحو، وأصول ، وكلام ، وغير ذلك من الجوانب اللغوية، فالتداولية كنسق معرفي استدلالي يسعى إلى الوقوف على الأغراض المقامية للقائل ، من خلال المعرفة الاستراتيجية الخطابية للنّص ، وقد كان ظهور التداولية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال قيامها على أنقاض المدرسة السلوكية حيث إنّ هذه المدرسة كانت تهتم بدراسة كيفية فهم الناس بعضهم بعضا ، وطريقة إنتاجهم لفعل تواصلي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد.

تعد نظرية الأفعال الكلامية من نظريات اللسانيات التداولية ، من خلال أنّ دراسة هذه الأفعال وما يفعله المتكلّم باللغة من تبليغ وتأثير على المخاطب وإنجاز أفعال لغوية يعتبر من أهم إنجازات الدراسات التداوليّة على الإطلاق.

لقد أتاحت التداوليّة منهجية لسانية جديدة حيث إنّها نظرت للكلام بوصفه فعلا لغويا يدل عليه قصد المتكلم ، من خلال صناعة أفعال كلامية تنطلق من مواقف ذاتية واجتماعية

مختلفة ، للتأثير على المخاطب بحمله على فعل أو ترك أو تقرير حكم من الأحكام ، عن طريق تأكيد حكم أو نفيه أو عهد أو وعد ووعيد أو حل عقد أو إبرامه أو غير ذلك ، وكلّ ذلك خاضع للسياق المقامي والموقف اللغوي المحدد ، ومن هذا المنطلق فإنّ التداولية قد شكّلت مرحلة مهمّة في مسار اللسانيات منذ أول علامات ظهورها على يد "هيمس" عالم الأجناس الأمريكي عندما شنّ هجومه على التصور التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني مع رائد اللسانيات الحديثة "دوسيسير" ، من خلال اقتصاره في دراسته اللسانية على موضوع اللغة دون الكلام.

إنّ هذه النظرة الضيقة للغة من "دوسيسير" ومن جاء بعده من العلماء الذين قصروا موضوع تنظيرهم للغة دون الكلام ؛ مثل صاحب النظرية " التوليدية التحويلية" "تشومسكي"، جعلت هيمس وعلماء الاجتماع ينتهجون منهجا جديدا وهو ما يعرف اليوم عند أصحاب الدراسات "بالقدرة التبليغية" ، اشتهرت نظرية أفعال الكلام على يد الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين" في محاضراته (نظرية أفعال الكلام العامة) ، لتبلغ ذروتها من الازدهار على يد تلميذه "جون سيرل" و "بول غرايس."

إنّ الغاية العامة من هذا البحث هو محاولتنا استثمار نظرية أفعال الكلام ومحاولة تطبيقها على الموروث اللساني العربي ، وأمّا عن سبب اختيارنا لهذا النص القرآني (سورة النور) ، فذلك راجع إلى كون هذا النّص منزل من عند الله فهو خطاب رباني بلغ ذروته من البلاغة والفصاحة ، ولأنّ عنصر الخطاب والحجاج فيه من أعلى إلى أدنى كما أنّ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كون هذه السورة تعالج كثيرا من القضايا الاجتماعية ، وتتحدد فيها الحوادث والموضوعات ، ويتنوع فيها الزمان والمكان ، ممّا يسهل التبادل الخطابي بين هذه الأطراف ، ونجد في هذه السورة القرآنية حوادث زاخرة من الأخبار والقصص والحجاج كما نجد فيها أوامر ونواهي وتقرير للأحكام وتحذير من المنافقين ، وذلك يؤدي لزاما إلى تنوع

الأساليب والصيغ ، فيترك لنا مدونة حيوية خصبة قابلة للدراسة وتطويع الآليات اللغوية لتتناسب مع قداستها ومصدرها الربّاني.

ولمّا كان النص القرآني حجاجيا ، فقد استثمرنا المفاهيم التداولية للكشف عن البنى والآليات الحجاجية في هذا النص وقد اعتمدنا في تقسيمنا لهذا البحث على فصلين: نضري وتطبيقي.

جاء الفصل الأول بعنوان: **اللغة واستراتجية الخطاب تداوليا** ، وقد تضمن مبحثين أمّا المبحث الأول فعنوانه: **التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى** ، وقد تحدثنا فيه عن التعريف بالتداولية ، وأبرز مفاهيمها بين العرب والغرب وعلاقتها بالعلوم الأخرى (اللسانيات ، البلاغة ، علم الدلالة ، تحليل الخطاب) ، كما تعرضنا في هذا الجزء للأفعال الكلامية عند كل من "سارل" و "أوستين" ، أمّا المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى **الاستراتجية الخطابية** ، والوقوف على ماهية الخطاب عند التراثيين والاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب ، خاصّة عند أنصار **المدرسة البراغماتية** والاقتراحات التي ذكرها كلّ من (ساكس ، وسنكلير، وكلتهارد وادميسون ، وبراون ، وبول ، وفان دايك ، وغيرهم .....

أمّا الفصل الثاني فعنوانه:**التحليل التداولى الحجاجي لسورة النور**، وقد جاء في مبحثين ، أمّا المبحث الأول فعنوانه: **أساسيات الدراسة** ، تطرقنا فيه إلى التعريف بمدونة البحث ، كما ذكرنا فيه المنهج المتتبع في تحليلها ، أمّا المبحث الثاني فهو عبارة عن:**دراسة تطبيقية مباشرة لسورة النور في ضوء ما أوردناه من مفاهيم تداولية حجاجية** ، وفي الأخير ذيلنا البحث بخاتمة أوردنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع كان أهمها: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، **طه عبد الرحمان، محمود نحلة:** آفاق جديدة في البحث

اللغوي المعاصر، **العياشي الدراوي:** الاستلزام الحواري في التداول الحواري، **أحمد المتوكل:** اللسانيات الوضعية.

ولمّا كانت المدونة قرآنية فقد استعنّا بجملة من كتب التفسير لعلّ أهمها: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ، **ابن كثير:** تفسير القرءان العظيم ، **الطبري:** تفسير الطبري **محمد الطاهر بن عاشور:** تفسير التحرير والتنوير.

لقد كانت قلّة البحوث في الدراسات التداولية خاصة بالنسبة للنّص القرآني حافزا لي حملني على البحث الجدّي في هذا الموضوع للتّعرف أكثر على المنهج التداولي وتطبيق آلياته على الخطاب القرآني ، وكذا توجيهات الأستاذ المشرف الذي أراد أن يكون البحث فيه الجديّة والابتكار والابتعاد عن المطبوعات المستهلكة المتكررة ، بيد أن هذه الدوافع كانت مصحوبة بجملة من الصعوبات والعقبات منها:

_ قلّة المصادر والمراجع ذات الصلة بالتحليل التداولي للنّص القرآني.

_ صعوبة التعامل مع المدونة المختارة باعتبار أنّها نص مقدس قد يؤدي الخروج عن فهم مواضيعه إلى الخروج عن أصل من أصول الدين.

_ التباين المصطلحي في بعض المفاهيم التداولية والحجاجية.

_ ضيق الوقت وقلّة المدّة الزمنية المعطاة لانجاز هذا البحث .

_ صعوبة الإلمام بمفاهيم ومصطلحات التحليل التداولي.

كما إني أجدد جزيل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف **د. حورية زلاقي** على صبرها معنا ونصائحها وتوجيهاتها لنا والملاحظات القيّمة التي طالما كانت تجود بها علينا في سبيل إخراج هذا البحث حتّى بلغ صورته النهائية.

المبحث الأول: التعريف بالتداولية:

ممّا لا شك فيه أنّ مفهوم التداولية كغيره من المفاهيم العلمية الأخرى يتباين ويختلف باختلاف المذاهب ووجهات النظر فيه ، ولعلّ ذلك راجع إلى كون هذا المصطلح حيوي ومرن لم يختص بمجال علمي محّدد.

لقد تم تناول مصطلح التداولية في كثير من الدراسات السيميائية ، واللسانية ، وعلم الاجتماع ، والفلسفة ، تقول الكاتبة "فرنسواز أرمينكو": " ليست التداولية درسا مكتفيا على نفسه فهي تصدر مفاهيمها في اتّجاهات متعددة". [1] ومن هذا المنطلق فإنّ جذور التداولية تمتّد لتشمل كل من اللسانيين ، والسيميائين ، والفلاسفة ، وأهل الاجتماع ، وعلماء النفس، وغيرهم .....

1. التداولية عند الغرب

أولّ من استعمل مصطلح التداولية (pragmatique) هو شارل موريس ، حيث عرفّها بأنّها "العلم الذي يعنى بدراسة العلاقة بين العلامات ، ومستعملي هذه العلامات" [2]. فالتداولية بهذا المفهوم تدرس اللغة ضمن سياق معيّن ، دون إهمالها للمعنى وعلاقتها بظروف الكلام ، فهي تهتم بالمتخاطبين ومقاصدهم والسياق الذي ترد فيه مع مراعاة المقام ، وكل هذه العناصر مترابطة ومتداخلة في ما بينها. أمّا "ليفنسون" فإنّه ينظر إلى التداولية باعتبارها ؛"دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة".

إنّ هذه النظرة اللغوية للباحث "ليفانسون" ، أدّت به إلى إعطاء مجموعة من التعريفات للتداولية منها:[3]

_ التداولية هي دراسة العلاقة بين اللغة والسياق.

---

[1]- فرنسواز أرمينكو : المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علواش، مركز الإنماء القومي الرباط1986.، ص 10.

[2]- فرنسواز أرمينكو : المصدر نفسه ، ص 08.

[3]- إدريس مقبول :الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ،دن جدارا للكتاب العالمي عمان الأردن ، دط عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2008، ص 264.

_ التداولية هي دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي.

-التداولية هي دراسة كل مظاهر المعني من غير فصلها عن نظرية الدلالة.

وإذا ما نظرنا إلى التداولية عند "ماري بلير" ، "وفرنسوا ريكانتي"، فقد عرفّت بأنّها "دراسة اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية" [1]. في ما يرى "فان دايك" أنّ التداولية " علم يختص بتحليل الأفعال الكلامية، ووظائف منطوقات لغوية ، وسماتها في عملية الاتصال"[2].

إنّ هذه التعريفات وإن اختلفت في شكلها العام إلاّ أنّ هناك قاسما مشتركا بجمعها يتمثل في دراسة اللغة أثناء الاستعمال ، وذلك من خلال اهتمامها بالمتكلمين والسياق دون إهمال الاستعمال العادي للكلام ، وهذا ما ركز عليه "إيليوار" في تعريفة للتداولية إ ذ يصفها بقوله:"إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاث معطيات لما لها من دور فعّال في توجيه التبادل الكلامي ،المتكلمين، والسياق ، والاستعمالات العادية للكلام"[3].

2. التداولية عند العرب:

لقد شهد مصطلح التداولية ترجمات عديدة في الوطن العربي منها: البراغماتية ، علم التداول ، علم المقاصد ، المقامية ..... ونظرا لتعدد هذه المصطلحات وكثرتها فإنّه كان من الواجب ضبطه في مصطلح واحد ليسهل استقراره في الأذهان ، وعليه فقد تم تحديد مصطلحٍ هو الأشهر والأكثر شيوعا عند الدارسين ، وهو ما عرف بالتداولية ، وقد كان أول من وضع هذا المصطلح الباحث المغربي" طه عبد الرحمان" يقول: "وقع اختيارنا منذ 1970 على

[1]- فرنسوا أرمينكو : مصدر سابق ، ص 12.
[2] - محمد لخضر الصبيحي :المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص لمرحلة التعليم الثانوي ،أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراء دولة، إشراف ،سمية بن مالك ، جامعة قسنطينة2004_ 2005 ، ص 95.
[3] - خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات ، دط ،دار القصبة للنشر الجزائر2000، ص 176،177.

مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا ، باعتبار دلالته على معنيين: "الاستعمال" و"التفاعل"[1].

_ التداولية:

أ – لغة:

يرجع المصطلح في ظل اشتقاقه إلى مادة (دَوَلَ). جاء في لسان العرب في أصل هذه المادة ، "الدَّولَة والدُّولةُ ، العقبة في المال والحرب سواء ، والجمع دُوَلْ و دِوَلْ والدولة اسم الشيء الذي يتداول والدُّولةُ الفعل ، والانتقال من حال إلى حال"[2].

قال سيبويه: "وإن شئت حملته على أنّه وقع في هذه الحال ، ودالتِ الأيام أي: دارت والله يداولها بين النّاس وتدَاوَلتهُ الأيدي أي أخذته هذه مرة وهذه مرة "[3].

جاء في مقاييس اللغة "أن الدال والواو و الّلام أصلان ، أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر تارة والتعاقب على أمر ما تارة أخرى ".

كما تجدر الإشارة إلى ورود أصل هذا المصطلح في القر آن الكريم في كثير من المواضع ، منه قوله تعالى: (وَلاَ تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَاكُلُواْ فَرِيقاً مِّنَ اَمْوَٰلِ اِلنَّاسِ بِالِاثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون).[4]

[1] - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ،د ن بيروت لبنان 2000 ص 27.

[2] - ابن منظور :لسان العرب ،تح عبد الله الكبير،محمد أحمد حسيب الله ،محمد الشاذلي ، د.ط. د.ت دار المعارف القاهرة ،مادة (د.و.ل) ، ج1 ص 1455.

[3] - ابن منظور المرجع نفسه، ص 1455.

[4] - البقرة /188.

وفي قوله: (إِنْ يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ).[1]

وقال الله جل وعلا في سياق كلامه عن المال والغنائم وتحوله ما من قوم إلى آخرين: (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنَ اَهْلِ ٱلْقُرىٰ فَلِلهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِے ٱلْقُرْبىٰ وَالْيَتَـٰمىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ كَےْ لاَ يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْۚ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ).[2]

ب –التداولية في الاصطلاح:

التداولية: مفهوم متعدد الأطراف ، متشعب الاتجاهات ، تجاوز دراسة المستوى الدلالي إلى علاقات العلامات اللغوية بمؤوليها ، فالتداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل ، وذلك لأنّ المعنى ليس متأصّلا في الكلمات ، ولا يرتبط بالمتكلم والسامع وحدهما وإنّما في تداول اللغة بين هذه الأطراف [3].وقد أشرنا أنّ أولّ من استعمل مصطلح التداولية هو: اللساني المغربي "طه عبد الرحمان" ، وذلك راجع إلى كون اللسانيات في نظره تنقسم إلى ثلاثة مجالات هي:[4]

[1] - آل عمران /140.
[2] - الحشر /7.
[3] - ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دن دار المعارف الجامعية الإسكندرية ،ط 2006 ، ص 10.
[4]- طه عبد الرحمان ، مرجع سابق ، ص 28.

_ الدَّاليات: تشمل الدراسات العاكفة على الدال الطبيعي ، وتمثّلها العلوم الثلاثة، الصوتيات، الصرفيات ، التركيبيات.

_ الدّلاليّات: تشمل الدراسة الواصفة لعلاقات الدوال بمدلولاتها ، سواء كانت تصورات ذهنية أم أعيانا في الخارج.

_ التداوليات: تشمل الدراسة الواصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدّالين بها.

وأبواب هذا القسم ثلاثة:

_ أغراض الكلام .

_ مقاصد المتكلمين .

_ قواعد التخاطب .

ولقد عرّف "طه عبد الرحمان" التداولية بأنّها: "وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث ، من عامة الناس وخاصتهم"[1].

وخلاصة ما تقدّم أنّ أهّم ما يمّيز الدرس اللغوي في معناه الاصطلاحي ، هو كونه يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال ، ومثال ذلك ما يذكره السيوطي في اللغة حينما يقول أنها تؤخذ استعمالا لا قاعدة ، ويبرر ذالك بقوله: " إذا أتاك القياس في شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه"[2].

ج –التداولية في اصطلاح الغرب:

أول من استعمل مصطلح التداولية ، هو الفيلسوف الأمريكي" تشارلز موريس" ، وكان ذلك في عام 1938. حيث عرّفها بأنّها جزء من السيميائية، تهتّم بدراسة العلاقة بين

[1] - طه عبد الرحمان : تحديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي المغرب ، ط 1994 ص 244.
[2] - ينظر : خليفة بوجادي ، التفكير التداولي عند العرب ، مصادره ومجالاته ص 5.

العلامات ومستعمليها [1] .وعرّفها "فان دايك" بأنّها العلم الذي يختص " بتحليل الأفعال الكلامية، ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عملية الاتصال" [2].ويرى "أوستين" أنّ الأقوال قد تكون أحيانا أفعالا أو مؤدية إلى أفعال ، وأهميتها ترجع إلى إثبات أنّ تلك الأقوال ليست خالية من المعنى ، وإلى تحديد السمات المميّزة لها ، وأهم تلك السمات ارتباطها بالمتكلم ، وبالموقف الذي تقال فيه "[3]. أمّا "فان دايك " فيّعرف التداولية بأنّها العلم الذي يختّص ب: "تحليل الأفعال الكلامية ، ووظائف منطوقات لغوية ، وسماتها في عملية الاتصال" [4].فيما يرى "إيلوار" أنّ التداولية تتّحد من خلال تجليها في ثلاث محاور، تمثل عناصر التبادل الكلامي ، وذلك من خلال ارتباطها: (بالمتكلم، السامع، السياق) ، لذلك فقد كانت نظرة "إيلوار" إلى التداولية على أنّها " إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات ، تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاث ة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:[5]

_ المتكلمين (المخاطِب ، المخاطَب).

_ السياق (الحال ، المقام).

_ الاستعمالات العادية للكلام.

لقد جاء ظهور التداولية كرد فعل على الدراسات الحديثة التي قام بها "دوسوسير"، والتي دعا فيها إلى دراسة اللغة دون الكلام ، ممّا أدّى ببعض الباحثين إلى محاولة الكشف عن أغراض المتكلمين ، من خلال تركيزهم على المتكلمين ، والسياقات المقامية المختلفة، والاستعمالات العادية للكلام ، وهذا ما يدفعنا لمحاولة الإجابة عن السؤال التالي : ماهي الأدوات التي تبسطها التداولية للتوصل إلى الكشف عن هذه الأغراض ؟

---

[1] - Ibid,p1.

[2] - محمد الأخضر الصبيحي :المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراء دولة ، إشراف يمينة بن مالك ، جامعة قسنطينة2004.2005 ، ص95.

[3] - محمد حسين عبد العزيز ، علم اللغة الاجتماعي ، ص324.

[4] - محمد الأخضر الصبيحي ، مرجع سابق ، ص95.

[5] - خولة طالب الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ت ط 2000 ، ص 176.

3. أدوات التداولية:

تهدف التداولية إلى تطوير أفعال الكلام من خلال محاولة فهمها للأفعال المنجزة في الرسالة اللغوية ، وقد حاول "أوستين" أن يرسي لهذا العلم قواعد من خلال تصنيفه للأفعال إلى ثلاثة أصناف وهي:[1]

ـ **(فعل الإنجاز)**: المتصل بقيمة الملفوظة ذاتها : وعد ، توكيد ، وعيد .....).

ـ**(فعل التأثير بالقول)**: استهداف غايات محددة مصرح بها ، أو غير مصرح ، تكون تالية للملفوظة متسببة عنها ، الأخبار، بث الطمأنينة ، التخويف .....).

ـ **(فعل القول)**: إنتاج وتركيب الصوت أو العلامات الخطية لوحدات تركيبية مزودة بمعنى وملائمة للسياق.

ثم توسع "أوستين" في هذا التقسيم للأفعال الكلامية فقسمها إلى خمسة أصناف:[2]

1_ الحكميات :(أفعال الأحكام):verdictives.

2_ الإنفاذيات: (أفعال القرارات):Exercitives.

3_ الوعديات : (أفعال التعهد):Commissives.

4_ السلوكيات :(أفعال السلوك):Behabitives.

5_ التبيينات : (أفعال الإيضاح):Expositives.

في الحقيقة ينبغي الإشارة إلى أن التداولية لم تتوقف على آراء "أوسين" ، ولا النظريات التي جاء بها تلميذه " سيرل" ، إذ إنّها أخذت مفاهيم عدّة ولعل أكثرها شيوعا عند الدارسين هي:

أ – متضمنات القول:

[1] - فرناند هالين : التداولية ، الآداب العالمية67 ، ت زياد عزالدين العوف، ص3.
[2] -Austin.j(how to do things with words).p.152

وهو "مفهوم تداولي يهتم برصد الجوانب الضمنية والخفية من الخطابات" [1]. تحكمه ظروف الخطاب العامة ، كسياق الحال وغيره ، ويندرج تحت هذا المفهوم عنصران هما:

- **الافتراض المسبق** : أول من وضع هذا المفهوم هو الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجة"، وهذا الجانب يتمثّل في " افتراضات معترف بها ، تشكّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل"[2]. فلو نظرنا مثلا إلى جملتي:

زيد اغتيل سنة 1868 ، قتل زيد قبل سنة 1868، فالملاحظ أنّ استخدام فعل اغتيل في الجملة الأولى يتضمن افتراضا سابقا بأنّ زيدا كان شخصية سياسية بارزة ، لكن هذا الافتراض غير متحقق في الفعل قتل في الجملة الثانية[3].

- **الأقوال المضمرة:** يرتبط هذا النمط بوضعية الخطاب ومقامه ، وتعرّفه "أركوني" على أنّه " كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحويها ، لكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث" [4]، إذا فالأقوال المضمرة هي المعلومات التي يمكن استنباطها من خلال السياق التخاطبي الذي وردت فيه.

ب –**الاستلزام الحواري:**

وقد ترجم أيضا إلى حكم الحديث ، ويعتبر من المفاهيم الإجرائية التداولية المهمة في هذا الميدان ، حيث يقوم على " النظر إلى جملة اللغات الطبيعية كونها تحمل في مقامات معينة معنى ثان غير معناها الحرفي" [5]، وما يفهم من هذا التعريف هو مراعاة المقام والسياق أثناء تداول الخطاب ، فما يقال هو ما تعنيه العبارات والكلمات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ، ووسائل

[1] - ينظر : باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، د ط ،2014 ، ص27.
[2] - مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ، ص30.
[3] - ينظر : مسعود صحراوي ، المصدر نفسه ، ص 44.
[4] - محمود عكاشة : النظرية البراغمتية اللسانية التداولية ، مكتبة الآداب، القاهرة ط1 ، 2013 ، ص 85.
[5] - ينظر : باديس لهويمل : مرجع سابق ، ص 29.

الاستدلال ، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح ، وبين ما يحمله من معنى متضمن[1].

4. علاقة التداولية بكل من: البلاغة ، اللسانيات ، علم الدلالة ، تحليل الخطاب .

أ) **التداولية والبلاغة:** لقد ذكرنا سابقا أن للتداوليّة صلة بكثير من العلوم ، حيث إنّ"هناك صلة وثيقة بين البلاغة والاتصال وفي هذا الأساس قدم تمام حسان قراءة مهمة وقيمة للمصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة" [2] ، وعليه فإنّه ينظر إلى العلاقة بين البلاغة والتداوليّة ، باعتبار أنّ البلاغة تعني فن القول ، أمّا التداوليّة فتعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي التي ترتبط به.[3]

لقد تطرق بعض علماء البلاغة قديما إلى بعض المظاهر التداولية مثل ؛ دراسة ظواهر الإحالة أو تحليل العبارات اللغوية ، الاهتمام بدراسة أفعال الكلام ، تحديد وظيفة البنية ، ممّا يعني ربط خصائصها بالأغراض المستهدف إنجازها [4]، وقد تكلّم "فيليب بلانشيه" عن البلاغة العربية وعلاقتها بالخطابة وصنفها وفق خمسة أقسام هي [5] :

1_ قسم البصر بالحجة: ويتعلق باستكشاف الأفكار والحجج انطلاقا من وجهات نظر مختلفة وممكنة.

2_ قسم الترتيب: ويتحقق عبر اختيار تنظيم للحجج ، ويوسم بكونه تنظيما منطقيا مبني على عمليات تخطيطية متناسقة.

3_ قسم العبارة: و يتمثّل في اختيار الأسلوب وإيقاع الخطاب من صور بلاغية مختلفة.

4_ قسم الاستظهار: وهو يخصّ عملية البحث من وجهات نظر مختلفة.

[1] - ينظر: محمود نحلة ، مرجع سابق، ص33.
[2] - سامية بن يامنة : الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية ، جامعة مستغانم، الجزائر، ص 5.
[3] -ينظر: سامية بن يامنة : مرجع السابق ، ص6.
[4] - ينظر خليفة بوجادي : مرجع سابق ، ص3.
[5] - ينظر فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة صابر الجياشة ، دن دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط 2007 ،ص25/24.

5_ قسم العمل: وهو اختيار التنغيمات والهيئات والحركات.

إنّ كل عمل قولي ذي كفاءة ينبغي أن يخضع لعدد من "المتغيرات الأساسية التي يتضمنها كل عمل قولي ذي "كفاءة تواصلية" ، على النحو الذي حلّلها به التداوليّون وعلماء اللسانيات الإجتماعية ، في القرن العشرين" [1] ، ولقد كان ارتباط بحث الظاهرة الكلامية في التراث البلاغي العربي وفق نظرية الخبر والإنشاء ، "فكان على طوائف من العلماء ، ولا سيّما البلاغيين الدارسين لعلم المعاني أن يتعرضواْ للقوى المتضمنّة للقول ، بغرض تحديد ما يقتضيه حال معين ، نزولا عند قاعدة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[2]، لقد تمّ الانتباه في الفكر اللغوي العربي القديم إلى كثير من الظواهر اللغوية التداوليّة ، منها الاستلزام الحواري ، ليس باعتبارها مفهوما وإنّما باعتبارها أشكالا دلالية تبرز من حين إلى آخر أثناء الخطاب[3].

ب) **التداولية واللسانيات :** " تطورت التداوليّة في أوربا القارية وبالخصوص في فرنسا إثر أعمال "أوستين" و "سيرل" ، وذلك بفضل اللسانين ، فهي تداولية تسعى إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات لا كتكملة لها ، بل كجزء لا يتجزأ منها" [4]، ولئن أردنا التساؤل عن كيفية التمييز بين اللسانيات والتداولية ، وإن لم يكن هناك تمييز واضح بين مرحلة منظومية ومرحلة مركزية ، إلاّ أنّ هناك تمايزا ينجلي للمتمعّن من خلال أنّ المنظومة اللغوية توفّر مداخل للمنظومة التصورية، وتبدأ من معالجة التداولية للقول [5]، "وحسب "سيربر" و "ولسن" ، تمكن المنظومة اللسانية من تأويل للقول ،(الدلالة اللغوية للجملة وبنيتها العميقة) ، وهو تأويل يتحقق في صيغة منطقية ، أي في سلسلة منتظمة من المفاهيم تقابل المكونات اللغوية للجملة" [6]. والملاحظ من هذا التأويل عند

---

[1]- فيليب بلانشيه: مرجع سابق ، ص25.

[2] - مسعود صحراوي: مرجع سابق ، ص6.

[3] - ينظر: العياشي الدراوي : الاستلزام الحواري في التداول الحواري (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلي وضع القوانين الضابطة لها ، د ن الأمان الرباط ،ط1 2011 ، ص 25.

[4] - آن روبول - جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوس - محمد الشيباني - ، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1 2003 ،ص48

[5] - ينظر: آن روبول – جاك موشلار ، المصدر نفسه ، ص75.

[6]- آن روبول - جاك موشلار ، المصدر نفسه ، ص76.

كل من "سيرب" و "ولسن" أنّ تأويل الأقوال لا يتّم إلا من خلال عمليات لها مقدمات هي الصيغة المنطقية للقول ، بالتضافر مع معلومات أخرى تتعلق بالجانب السياقي للقول.

ج) التداولية وعلم الدلالة: "عندما نقوم بتحليل النصوص والخطابات ولا سيّما الأدبية منها ، لا بدّ من التمييز بين المعاني الحرفية ذات الطابع الخبري والقضوي ، والمعاني السياقية التي ترتبط بسياقها الوظيفي و الإنجازي"[1]. وهنا نجد تداخلا واضحا بين التداولية وعلم الدلالة ، ولعلّ مردّ هذا التداخل كون كل منها يتناول المعنى الذي هو زبدة التواصل وإنّ هذا التداخل هو الذي أعاق الألسنيين على صعوبة الفصل وبيان حدود كل مجال، على خلفية هي أنّ علم الدلالة يشبه إلى حد بعيد التداوليّة ، من خلال أنّه يحاول تبين معنى الكلمة ، أو الجملة أو العبارة [2]. ويصعب التمييز أكثر بين الدلالة والتداولية في النصوص الشعرية والأدبية ، وذلك لأنّ هذه النصوص " طافحة بالصور البلاغية المجازية والمعاني الإحالية ، وهي تترابط شعريا بسياقاتها الإحالية و المقامية والنصية والوظيفية، وما على الناقد إلاّ استجلاؤهَا وتحليلها وتبيان وظائفها السياقية والمقامية"[3].

د) التداولية وتحليل الخطاب: يميّز "دوسسير" بين اللسان حيث يعتبره الجانب المحدد اجتماعيا وطبيعته للغة ، وبين الكلام وهو الإنجاز الفردي للغة ، وهذا التمييز بين اللسان والكلام حسب "دوسسير" يتيح الفصل داخل اللغة بين ما هو اجتماعي وما هو فردي ، وبين ما هو جوهري(اللغة) وما هو عرضي (الكلام) ، ولئن انطلق "دوسسير" من اللسان ليحدد الكلام إلاّ أنّ هناك علماء آخرون انطلقواْ من الاتجاه المعاكس ، فالخطاب عند "غاردنر" "نشاط إنساني" أي؛ أنّه حدث مخصوص أو مثير، يتواصل بواسطته متكلّم مع مخاطب مستعملا إشارات لفظية منظمة حسب شفرات مشتركة ، أمّا اللّسان فهو

[1] - ينظر:جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب ، ط1 ص 52.
[2]- ينظر: النواري سعودي ، تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة الجزائر،ط1 2009، ص22 .
[3] - جميل حمداوي: مرجع سابق، ص 52.

مجموع المعارف التي تتعلق بهذه الشفرة ، والجملة حسب "غاردنر" هي "وحدة الخطاب"، والكلمة هي "وحدة اللّسان" [1]. تلتقي التداوليّة وعلم الخطاب في دراسة الجوانب التي " يرد فيها السياق ، بوصفه مجموعة من القيود التي تحيط بالخطاب وتحدد نتائجه وتوابعه "[2].

5. الأفعال الكلامية عند "أوستين" و" سيرل":

إنّ انتقاد "أوستين" للتداوليّات التي تقوم على الصورية والتي لا تشّكل في وجهة نظره التداوليات بالمعني السليم ، جعله يفتح مرحلة تداوليّة جديدة يكشف عن توجه بنوع من الجدّة ، حيث يري أن التداوليّات الصورية ليست في حقيقتها سوى علم دلالة أستثمر بنفس المعطيات المرتبطة باستعمال اللغة ، ولأنّ اللغة حسب "أوستين" ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر فحسب ؛ بل هي أيضا أداة لبناء العالم والتأثير فيه . وعليه فموضوع البحث يتمحور بالأساس حسب ما تفعله بالتعابير التي تتعلق بها أفعال الكلام [3].ولذلك فقد تقدّم "أوستين" بنظرية بسَّطَ القول فيها عبر جملة من المحاضرات والمقالات ، عرفت فيها نظريته الأفعال اللغوية التي خرجت تحت عنوان: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" ، فيا ترى ما هي الأسس والمبادئ التي ارتكز عليها "أوستين" في إرساء دعامة هذا العلم ؟

تذهب نظرية أفعال الكلام إلى التأكيد على أنّ العبارات اللغوية لا تنقل ضمن مضامين مجردة ونمطية ، وإنّما تختلف حسب عدة عوامل منها السياق ، بالإضافة إلي عوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته[4].

لقد صنّف "أوستين" الأفعال اللغوية إلى خمسة أصناف ، جاء ذكرها في بداية الموضوع ولم نشأ الإطناب فيها ، وذلك لأنّنا أردنا أن نخصص لها مبحثا منفردا ، حيث إنّها تعتبر

[1] - ينظر : القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلر ، آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب ، مراجعة خالد ميلاد ، دن سيناترا ، ص51.

[2] - بهاء الدين محمد مزيد : تبسيط التداولية ، دن شمس للنشر والتوزيع ، ط1 2010، ص 27.

[3] - ينظر : العياشي دراوي ، مرجع سابق ، ص77.

[4] - ينظر : حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، ص123.

الأصل الأهم في هذه الحلقة العلمية ، ولقد استفاد من هذه التقسيمات كثير من العلماء الذين جاءواْ بعد "أوستين" مثل:" سيرل" و "ديكرو" و "بروندونر" و "غرايس."

1_ الحكميات: verdictives: نحو الإدانة أو الفهم أو الوصف أو إصدار أمر أو التحليل.

2_ الإنفاذيات: Exercitives: وتعني متابعة الأعمال نحو الاستقالة ، طرد ، تحويل.

3_ الوعديات: Commissives: الوعد ، الموافقة ، التعاقد ، العزم ، القسم.

4_ السلوكيات: Behabitives: الاعتذار ، الشكر، التهنئة ،الترحيب، الكره ،التحريض.

5_ العرضيات: Expositives: وهي تتضمن أفعالا لتقديم وجهات الن ظر وإثبات الحجة نحو أؤكد ، أعترض ، أنكو[1].

وإذا ما أردنا أن نتوقف عند خلاصة هذه المراحل من التفكير الأوستيني ، فسنجد أنّه انتهى إلى إدراج جميع الجمل اللغوية في إطار وصف وتنظير عام ، شكّل ما سميّ بنظرية "أفعال الكلام" ، الأمر الذي قاد إلى المحطة الثالثة من التفكير الأوستيني ، وهي المحطّة التي ركّز فيها بشكل كبير علي المقصود من القول[2] ، " فحين أتلفظ بكلام ما أنجز فعلا معينا ، ومن ثمّة فإنّ المتلفظ بأيّة جملة تنتمي إلى لغة طبيعية معينة يقوم بأصناف ثلاثة من الأفعال اللغوية"[3].

أ – **فعل القول:** (Acte locutionnaire) ، الذي يتشكّل من ثلاثة أفعال فرعية وهي: الفعل الصوتي ، الفعل التركيبي ، والفعل الإبلاغي أو (الدلالي).

ب –**الفعل الإنجازي:** (Acte illocutionnaire)، وهو الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه ويرتبط بالقيمة (Valeur) التي تعطى للكلام.

[1]- Voir; Austin.How to do things with words. Oxford University press 1975.p152
[2] - ينظر:العياشي دراوي ، مرجع سابق ، ص85.
[3] - العياشي دراوي ، المصدر نفسه ، ص86/85.

ج –**الفعل التأثيري:** (Acte Perlocutionnaire) ، ويقصد به الأثر (effet) الذي يحدثه الكلام لدى المخاطب.

لقد صنف "أوستين" المنطوقات الإنجازية في مجموعات تشترك في سمات وظيفية محددة (الاستفهام ، الأمر، النصح، النهي ، التحذير، والوعد) بينهما سمات مشتركة ، وهي دفع السامع إلى أن يفعل شيئا أو يكف عنه ، فالتقسيم قائم على أساس الوظيفة التي يؤديها المنطوق لا على أساس النواحي الشكلية"[1].

وعلى الرغم من النتائج القيمة التي توصل إليها "أوستين" وطرحها في نظريته إلا أنّه لم يسلم من الانتقادات التي وجهت له خاصة من طرف العالم "بنفيست" ، التي حمّلها مقاله المعنون ب"الفلسفة التحليلية واللغة "سنة 1963 الذي تناول بالنقد إطار الفلسفة التحليلية التي تقوم عليه" نظرية أفعال الكلام" ، بالإضافة إلى مفهومي الخبر والإنشاء ، وطبقات الإنشاء وقيمها الإنجازية [2]، غير أنّه لا ينبغي علينا أن ننكر أنّ ما توصل إليه "أوستين" بخصوص "أفعال الكلام" فتح نقاشا واسعا انخرطت فيه ثلّة من الباحثين من أمثال, "سيرل" ، "كرايس" ، "فان إيمون" وغيرهم .....

6. إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من طرف "سيرل":

"يحتل الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" " john Searle" موقع الصدارة بين أتباع "أوستين" ومريديه ، ولقد أعاد تناول نظرية "أوستين" وطوّر فيها بعدين من أبعادها الرئيسية ، وهما المقاصد و المواضعات"[3]، لا يهتم "سيرل" إلاّ بالأعمال المتضمّنة في القول ، وتمثّلت إسهاماته الرئيسية في: التميّز داخل الجملة بين ما يتّصل بالعمل المتّضمن في القول في حد ذاته ، وهو ما يسميه (واسم القوة المتضمنة في القول)، وما يتّصل بمضمون العمل وهو ما يسميه ، (واسم المحتوى القضوي) ، فعلى سبيل المثال في جملة: "أعدك أن أحضر

[1]- محمد حسين عبد ربه : علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1 2009 ، ص 325
[2] - ينظر : العياشي دراوي ، مرجع سابق، ص 87
[3] - آن روبول – جاك موشلار : مرجع سابق، ص 33

غدا". نجد أنّ "أعدك" واسم القوة المتضمنة في القول ، و"أن أحضر غدا" هو واسم المحتوى القضوي[1]، كما ينبغي علينا التنبيه على أنّ "سيرل" قد تبنّى هدف الخطاب معيارا محوريا لتصنيف استعمالات اللغة وبالتالي: فإنّه سيوجد لدينا عدد محدد من الأشياء الأساسية التي نفعلها باللغة وهي كالتال :[2]

-نخبر الناس عن كيفية الأشياء : إخباريات.

-التأثير عليهم لفعل الأشياء : توجيهيات.

-نلزم أنفسنا بفعل الأشياء : إلتزاميات.

-نعبر عن مشاعرنا ومواقفنا : تعبيريات.

- نحدث تغييرات معينة بملفوظاتنا : إيقاعيات.

لقد انطلق "سيرل" من قواعد ثابتة ليعيد النظر في تصنيفات "أوستين" للأفعال الإنجازية ، ليترك بصمته على جميع الأصناف إلا صنف العهديات ، وقدم "سيرل" تصنيفا بديلا وأقام تقسيمه على أبعاد ثلاثة يختلف كل منهم عن الآخر وهي : الغرض الإنجازي ، اتجاه المطابقة ، شرط الإخلاص، وقد جعلها في خمسة أصناف هي كالتالي:

أ – **الإخباريات : (التقريريات): Assertives** : وغرضها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة ، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب ، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات على العالم[3].

ب –**الوعديات: (الإلتزاميات) Commissives**: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل (غرض ، وعد) ، واتجاه المطابقة فيها من العالم على الكلمات وشرط الإخلاص فيها هو القصد ، والمحتوى القضوي فيها

[1]- آن روبول – جاك موشلار : المصدر نفسه ، ص 33.
[2] - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، ص158.
[3] - ينظر : محمود نحلة ، مرجع سابق ، ص78.

دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل ، و المسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلم، والشرط المعد هو قدرة المتكلم على آداء ما يلزم به نفسه[1].

ج –**التوجيهيات: (الأمريات/الطلبايات) Directives:** وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما (الغرض الأمري ، الطلب) واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة ، والشرط العام للمحتوى القضوي هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل والمرجع في التوجيهيات هو المخاطب[2].

د –**التعبيريات: (البوحيات) Expressives:** وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي حيال الواقع ، والتي تعبر عنها القضية وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة ، فالمتكلّم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات ، وقد عبّر عنه سيرل (بالاتجاه الفارغ) ، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، التهنئة ، الاعتذار، التعزية ، الترحيب[3].

هـ –**الإعلانيات: (الإيقاعيات) : Declaratives** : والغرض منها إحداث تغيير في العالم ، بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح للفعل الكلامي، وأهم ما يميّز هذا الصنف هو أنّ الأفعال الإنجازية فيه تحدث تغييرا في الوضع القائم فضلا على أنّها تقتضي عرفا غير لغوي ، واتجاه المطابقة قد يكون من الكلمات إلى العالم ، ومن العالم إلى الكلمات ، وقد عبّر عنه "سيرل" (بالاتجاه المزدوج)[4].

[1] - ينظر : طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، ص30.
[2] - ينظر : محمود نحلة ، مرجع سابق ، ص31.
[3]- ينظر : محمود نحلة ،المصدر نفسه ، ص 80.
[4] - ينظر : طالب هاشم طبطبائي ، مرجع سابق، ص 31.

المبحث الثاني: الإستراتجية الخطابية:

لم تعد الدراسات الألسنية بمختلف فروعها و مجالاتها علما مجهولا في عالمنا العربي، بل إنّها من البرامج الجامعية التي يتابعها المتخصصون باللغة والآداب، والمجالات الأخرى لذلك لم يعد الاطّلاع على التيارات الألسنية الغربية الكلاسيكية نسبيا كالتركيبية، والوظيفية ، وحتى التداولية أمرا كافيا للغة وما يرتبط بها [1]، " ومن أهم مجالات التحليل الألسني الجديدة نسبيا ، التحليل النقدي للخطاب"[2].

1. **الخطاب في التراث العربي:** لقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومثال ذلك ما ذكره الله جل وعلا تكرمة لداوود إذ خصّه بالحكمة وفصل الخطاب قال الله جلّ وعلا : وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾[3]

قال فخر الدين الرازي في تعقيبه على هذه الآية": وإنّ فصل الخطاب عبارة ع لى كونه قادرا عن التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، ويحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء، ينفصل كل مقام عن مقام" [4]، وقد ورد لفظ (المخاطَب) عند النحاة للدلالة على طرف الخطاب الآخر، الذي يوجه إليه الكلام، أمّا الأصوليون فقد دار محور بحثهم في هذا الباب من خلال إيرادهم لاسم الفاعل (مخاطِب) ، واسم المفعول (مخاطَب) ، بوصفهما طرفي الخطاب. يقول "الآمدي" في تعريفه للخطاب: " هو اللفظ المتعارف عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[5].

2. **مفهوم الخطاب في العصر الحديث:** لقد نظر كثير من النقاد والكتاب الحداثيون إلي الخطاب من الناحية الشكلية ، حيث رأواْ أنّ الخطاب تجَاوُز الجملة، فيما ذهب آخرون إلى ماهو أبعد من ذلك فالخطاب في رأي "ليتش" وزميله "شورت" ، تواصل

[1] - ينظر : نورمان فاركلوف ، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي ،ترجمة طلال وهبة ، مراجعة نجوى نصر بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، ط1 ديسمبر 2009 بيروت ، ص7.
[2] - نورمال فاركلوف : المصدر نفسه ، ص7.
[3] - سورة ص /19.
[4] - فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ط1 1981 دار الفكر للطباعة والنشر ، ص188.
[5] - سيف الدين أبو حسن الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام ، ط1 1981 دار الفكر. بيروت ، ص72.

لساني ينظر إليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب ، أي أنّه فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية. [1] ويتجلى الخطاب عند "بيار شارودو" " P. Chareaudeau" في قوله : " ما تكوّن من ملفوظ ، ومقام تخاطبي ، وأنّ الملفوظ énoncé يستلزم استعمالا لغويا عليه إجماع، أي قد تواضع عليه المستعملون للغة وأن هذا الاستعمال يؤدي دلالة معينة" [2]. ولعلّ هذه المفاهيم الكثيرة التي أخذها الخطاب جعلته محطة تداخل بينه وبين النص بيد أنّ هناك فروقا بينهما، من خلال أنّ "النص مجمل القوالب الشكلية والنحوية والصرفية ،بغض النظر عما يكتنفه من ظروف أو يتضمنه من مقاصد ، في حين يحيل الخطاب على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي ، وكذلك في تأويله ، ممّا يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه ، كما أنّ هناك فرقا في العلامات المستعملة فقد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية"[3]. ولكن على الرغم من هذه الفروق فإنّه يوجد من لا يفرق بين الخطاب وبين النص ويستعملهما بالمعنى نفسه ، ومن هؤلاء على سبيل المثال السرديون: "جينيت " و"تودوروف " و"فاينريش" فهم لا يميزون بينهما [4]. ومما يجدر التنبيه عليه هو أنّ التداولية تستقي بنيتها الداخلية في البلاغة من مشروعيتها من طبيعة تصور المادة التي تعالجها والسياق الذي تتدرج فيه ، وذلك لأنّ الخطاب البلاغي في ذاته يتجه إلى أن يكتسب طبيعة كلية شاملة تتجاوز الصبغة الجزئية التي غلبت عليه عندما كان يقف عند حدود الكلمة والحالة المفردة ويحاول تحليلها بشكل ميّسر لا ينطلق من منظور شامل [5]. وإذا كان التجديد المبدع في الخطاب الأدبي لا يتجلى في الوحدات الصغرى ، وإنّما في الأبنية الكليّة النصيّة فإنّ هذا الخطاب البلاغي يندرج بدوره في منظومة معرفية تدعوه إلى أن يستثمر الخطابات

[1] - ينظر : سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص44.

[2] *initiation aux méthodes de l'analyse du déscours, p. 113 - Maingueneau*

[3] - عبد الهادي بن ظافر الشهري: مرجع سابق ، ص 39.

[4] - ينظر : سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، ص 12/11.

[5] - ينظر : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص7.

العلمية المجاورة.[1]

إنّ التقدم الذي فرضته علوم اللغة والنفس والنظريات الألسنية الحديثة والتقنيات الأسلوبية تصب كلها في بؤرة الخطاب البلاغي على رأي "صلاح فضل." وإذا كانت التداولية باعتبارها أحدث فروع العلوم اللغوية ، وهي التي تعنى بتحليل عمليات الكلام، والكتابة ، ووصف وظائف الأقوال وخصائصها، خلال إجراءات التواصل بشكل عام ، ممّا يجعلها ذات صبغة تنفيذية عملية ؛ وعليه فإنّ اندماج الخطاب البلاغي الجديد في علم النص يتيح له تشكيل منظومة من الإجراءات المنهجية القابلة للتطبيق على المستوى التداولي[2].

3. التداولية وتنوع مرجعيات الخطاب.

"انطلقت الفلسفة الوضعية المنطقية في الحكم على دلالة جملة ما من مقياس الصدق والكذب"[3].ومع ظهور التداولية فقد كثر الاهتمام بفكرة أفعال الكلام ، ويرى "فان دايك" أنّ الهدف من الاستعمال اللغوي " ليس إبراز منطوق لغوي فقط ، بل إنجاز حدث اجتماعي معين"[4]. وعليه فإنّه من البديهي أن يكون التمثيل الخطابي للثقافة قائما؛ إذ أنّ الرموز الثقافية لا تنفصل عن الخطابات ، حيث أنّ الثقافة ما هي إلاّ قواعد ومعتقدات وتقاليد يجب صياغتها لغويا ، وذلك حتىّ يتّم تداولها بين أفراد المجتمع ، وإذا كانت الخطابات نتاجا لغويا لفكر الإنسان والذي بدوره ناتج عن ثقافة مكتسبة من الحياة اليومية، فإنّ هذه الرموز تستعملها المجتمعات في حياتها اليومية ، ممّا يؤدي إلى تداولها بينهم. ولمّا كان كلام الله جل وعلا خطابا قرآنيا لكافة الخلق ، فإنّ كثيرا من الناس اختلفواْ في تأويلهم لهذا الخطاب، فقد فسّره كل مجتمع وفق ثقافاته ومعتقداته الاجتماعية ومرجعياته الدينية، فلو أتينا إلى

[1] - صلاح فضل : مرجع سابق ، ص 7.
[2] - ينظر: صلاح فضل، المصدر نفسه، ص 8/7.
[3] - أحمد المتوكل: اللسانيات الوضعية، مدخل نظري منشورات عكاظ ، الرباط المغرب1989 ، ص18.
[4] - فان دايك : علم النص، ترجمة وتعليق سعيد بحيري ، القاهرة ط1 2001 ، ص 18.

تفسير قوله تعالى في سورة النساء: (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾) [1]يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:

"الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهنّ ، بما يجب عليهنّ لله ولأنفسهم بما فضل الله بعضهم على بعض ، يعني بما فضل الله به الرجال على أزواجهم ، من سوقهم إليهنّ مهورهم ، وإنفاقهم عليهنّ أموالهم، وكفايتهم إياهنّ مؤنتهنّ ، وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إيّاهم عليهنّ ، ولذلك صاروا قواما عليهنّ ، نافذي الأمر عليهنّ ، فيما جعل الله إليهم من أمورهنّ"[2]. أمّا ابن كثير فيقول في تفسيره لهذه الآية (ٱلرِّجَال قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ) أي؛ الرجل قيّم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجّت (بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) أي؛ لأنّ الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم ، لقوله صلّى الله عليه وسلم: " لن يفلح قوم ولّو أمرهم امرأة". رواه البخاري من حديث عبد الرحمان بن أبي بكرة عن أبيه ، وكذا منصب القضاء وغير ذلك. (وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ) أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهنّ في كتابه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها ، والإفضال مناسب أن

[1] - سورة النساء /34.

[2] - الطبري : تفسير الطبري ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب الرياض المملكة العربية السعودية ، ط1 2003 الجزء6 ص 687.

يكون قيّما عليها" [1] .إنّ هذين التفسيرين يدلّان على ثقافة صاحبيهما الإسلامية العربية الرجولية ، وذلك لما خصّ الله تعالى به الرجل على المرأة من فضل ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو في الوقت نفسه لم ينتقص من شأن المرأة ويحطّ من قدرها، خلافا لما يدعو به أهل التحرر دعاة المساواة في الثقافة العربية الحديثة ، إذ إنّهم يرفضون هذا التفسير ويرون أنّه لا أفضلية للرجل على المرأة ، وما كان من تمايز فذلك راجع إلى البنية الفيزيولوجية لكل منهما ليس إلاّ ، ولا شكّ أنّ فهم هذا الخطاب الإلهي من كلا الجانبين ينمّ على الثقافة الرجولية التي تشبّع بها الأوائل ، حتى إنّنا نستطيع أن نتخيّل صفاتهم الخَلقية والخُلقية ، من الغلظة والشدة والحزم ، خلافا لما عليه دعاة المساواة من الرقّة والليونة وغير ذلك من الصفات النسائية.

4. الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب(البراغماتية).

لقد كانت الدراسة قديما مقتصرة على التحليل الأسلوبي على مستوى الجملة ، ولقد تنبّه اللغويون منذ ستينيات هذا القرن ، إلاّ أنّ تحليل الجملة المفردة بالنص ، لا يفي بتحليل المعنى الإجمالي للنص بمغزاه المباشر، وغير المباشر، غير أنّ هناك لغويون أمركيون من أمثال "روس" ، و "مكولي" ، و "لاكوف" ، يعترفون بدراسة الوظائف اللغوية المحددة إلى جانب دراسة الملامح اللغوية في تحليل الخطاب ، من خلال الاستعانة بنتائج علوم أخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس"[2]. وقد تطلب هذا الاتجاه الجديد أن يتجاوز الدارس حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة ، وأن يقوم بدراسة الضوابط التي تدخل في إطار الأسلوبيات وعلم الدلالة أكثر منها في علم النحو، ممّا يعرف الآن براغماتية تحليل الخطاب"[3]. إذا فالبراغماتية هي: "دراسة المعنى في المواقف المختلفة، أي بالإشارة إلى متحدث معين أو مستخدم معين للغة ، كما ينبغي الإشارة إلى أنّ هناك

[1] - ابن كثير : تفسير القرءان العظيم ، دار مصر للطباعة ، الجزء1 ، ص 491.
[2] - ينظر: على عزّت : الإتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، دار نوبار للطباعة القاهرة ط1 1997 ص.47
[3] - ينظر علي عزّت المصدر نفسه ، ص47.

أساليب أو تكنيكات يمكن اتباعها في دراسة براغماتية الخطاب ، اقترحها مجموعة من اللغويين ، أمثال "ساكس" ، "وسنكلير" ، و "كلتهارد" ، "وإدميسون" ، و "براون" ، و"بول" ،و "فان دايك" ، وغيرهم ومن بين هذه الأساليب:[1]

1 تبادل الأدوار بين المتخاطبين.
2 علامات الحوار أو الخطاب.
3 آداب التخاطب.
4 المبادئ التعاونية في الخطاب.
5 التماسك في النص.

5. الخطاب القرآني في ضوء الدراسات الحديثة.

لقد حاولت الدراسات الحديثة أن تضيف بعض معالم التكيّف اللغوي في مصطلح الأوائل في الخطاب القرآني مع معطيات السياق المختلفة ، مجتهدة أن تجمع بين البدء من النص وصولا إلى السّياق ، والبدء مع السّياق المحيط بالنص وصولا إلى بنائه اللغوي ضمن محورين متداخلين: محور آني يركز تحليله للظواهر على جملة علاقاتها وأبنيتها المتراكبة وانتظامها في نسق متصل في لحظة سياقية محددة ، ومحور تعاقبي ؛ يعني تطور الظواهر وصيرورة أوضاعها في فترات زمنية متعاقبة ، حيث تزاوج بذلك بين المنهجين الوصفي والاجتماعي في استقراء العلاقة بين النص والسياق في الخطاب القرآني [2]. يقول "ميشال فوكو": في كل مجتمع يتّم ضبط إنتاج الخطاب واخت يله وإعادة توزيعه تبعا لعدد من الخطوات التي يكون دورها تجنب القوى والأخطار والتأقلم مع الأحداث الطارئة ، من خلال أنّ الخطاب يمثل الفروقات السياسة والعرقية والدينية ، وإنّ كثير ا من الاستثناءات والظروف التاريخية والإديولوجية والرسمية تضع النص في إطار الواقع المعاش[3]. وبالنسبة للقرآن الكريم

[1] - ينظر علي عزّت ، مرجع سابق، ص 52.
[2] - ينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني في سورة البقرة ، دن جدارا للكتاب العالمي ، ط 2008 ، ص 10.
[3] - ينظر : خالد العموش، المصدر نفسه ، ص 136.

فإنّ سياق التخاطب الأساسي فيه وهو أهم مستويات السياق الخارجي يجعل محور الخطاب فيه من الأعلى إلى الأدنى ، وعلى أساس هذا المحور تتحدد الوظيفة التعليمية بوصفها سمة أساسية للنص ، ويؤكد هذه السمة أنّ محور التركيز غالبا هو المتلقي ، وإن لم يمنع هذا من وجود المتكلم يطغى على المخاطب في بعض الأجزاء ، ويرى أنّ سياق التنزيل راعى أحوال المخاطبين خلال أحقاب زمنية مختلفة ، وأنّ سياق التنزيل يمكن قراءته في موضوع علوم القرءان(المكي /المدني) ، وأسباب النزول وهو ما يميّز الخطاب القرآني خلال مرحلتي الدعوة الإسلامية ، ثم يسير إلى السياقات الداخلية للنص القرآني ، من حيث سياق الترتيب والمناسبة والروابط والعلاقات ، وأنّ هذا النص من خلال تركيبه يقدم رؤية للعالم تحتاج إلى بحث ينطلق من تحليل مستويات السياق وليس من خلال القفز عنها[1].

[1] - ينظر: المصدر نفسه ، مصدر سابق ، ص 142.

المبحث الأول: أساسيات الدراسة.

1 التعريف بمدونة البحث:

في هذا البحث نحن بصدد دراسة سورة من سور القرآن ألا وهي سورة النور، وهي سورة مدنية نزلت بالمدينة النبوية بلا خلاف ، وعدد آياته62 آية افتتحت هذه السورة بقوله تعالى:(سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ)[1] وختمت بقوله جلّ وعلا:(أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾)[2].

2 المنهج المتبع في تحليل السورة :

المنهج المعتمد في تحليل السورة هو منهج تداولي حجاجي ،نسعى من خلاله إلى تحليل الخطاب القرآني تحليلا تداوليا ، بالارتكاز على أحد مبادئ التداولية، ألا وهو الحجاج وذلك من أجل الوقوف على البنى الحجاجية في السورة، وانطلاقا من تحليل الأفعال الكلامية مع مراعاة الروابط والعوامل الحجاجية التي تضفي صبغة تداولية على الخطاب لإعطاء دعامة إقناعية ، كما نسعى إلى تحليل الصور البيانية الواردة فيها من حيث وظيفتها الحجاجية التي تترك أثرا في المتلقي يظهر في أخلاقه وعقائده، في استجابته وخضوعه وبالتالي فإنّنا نتناولها من سياق التواصل والإقناع لا سياق الزخرفة والإبداع، وإذا كان الحجاج يشكّل رافدا مهما من روافد البحث التداولي فإنّه يمكن اعتبار القرآن الكريم خطابا إلهيا حجاجيا بامتياز، باعتباره يطرح أمرا أساسيا يتمثل في عقيدة التوحيد ويسعى إلى تثبيت هذه العقيدة ويقدم الحجج المدعّمة لهذا الأم ، والخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء

[1] - سورة النور/1
[2] - سورة النور /62

المخاطب وتغيير سلوكاته بجعله يتقبل ملفوظا هو بمثابة نتيجة وذلك وفق طرق متنوعة على ملفوظ هو بمثابة معطاة (حجّة) ؛ وهكذا فإنّ المعطاة تقوم مقام البرهان وتهدف إلى تأكيد قضيّة أو دحضها ولما كان موضوع البحث ومنهجه تداوليا ، فإنّ ذلك لا يكون وافيا بدون الإلمام بالمقام الخارجي لنزول هذه السورة ، وهو ما عرف عند المفسرين بأسباب النزول فما هو سبب نزول هذه السورة ؟

3 **سبب نزول سورة النو ر:** قال المفسرون في سبب نزول هذه السورة أنّه لما قدم المهاجرون إلى المدينة وفيهم فقراء ليس لهم أموال وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهنّ وهن يومئذ أخضب أهل المدينة فرغب في كسبهنّ ناس من فقراء المهاجرين ، وقالواْ لو أنا تزوجنا منهنّ فعشنا معهنّ إلى أن يغنينا الله تعالى عنهنّ ، فاستأذنواْ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية ,(ٱلزَّانِى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاَّ زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ)[1]، وقال عكرمة: نزلت الآية في نساء بغايا متعالنات بمكة والمدينة وكنّ كثيرات [2]، ثمّ يأتي في هذه السورة توضيح وتفصيل في آيات اللعان بين الأزواج ؛ فقد ذكر أن ليلة الجمعة في المسجد إذ دخل رجل من الأنصار فقال: لو أنّ رجلا وجد مع امرأته رجلا فإن تكلم جلدتموه وإن قتل قتلتموه وإن سكت؛ سكت على غيظ ، والله لأسألنّ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله وقال له ما كان من أمره ، ثم قال:اللّهم افتح ولم يزل يدعو فنزلت آية اللعان , (وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ) [3]، ثمّ تتناول السورة في جانب منها حادثة الإفك التي اتهمت به ا عائشة أم المؤمنين مع الصحابي الجليل صفوان ابن المعطل ، وما

[1] - سورة النور /3

[2] - ينظر : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرءان ، تح كمال بسيوني زغلول دن دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط1 1991 ، ص 325

[3] - سورة النور /6

كان فيها من فتنة بعد أن خاض فيها الخائضون ، ولكنّ الله برأها من فوق سابع سماء وتوعد الذي تولى كبره منهم بالعذاب الأليم وكان ذلك هو رأس المنافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) ويظهر ذالك في قوله تعالى(إِنَّ ٱلذِينَ جَآءُو بِالِافْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ..... إلى قوله: أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) ، ثمّ تتكلّم السورة عن الأخلاق التي ينبغي أن يتحلّى بها المسلم ويتأدب بها وهي الاستئذان قبل دخول أي بيت , والسبب في نزول هذه الآيات ، أنّ امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إنّي أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي وإنّه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على ذلك الحال فماذا أصنع؟ فنزلت هذه الآية: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَانِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۖ)[1]، ثم يظلّ الكلام على الأخلاق النبيلة ومكارمها في آيات متتابعة التي تحافظ علي سير المجتمع المسلم وفق الشريعة التي أمر الله بها ، كما تتحدث السورة عن النكاح وشروطه وأركانه ، وقد ذكر في السورة حال المنافقين الذين يعرضون عن تحكيم رب العالمين ورسوله الأمين ، وذلك في قوله تعالى: (وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ)[2]، وقد كان سبب نزول هذه الآية في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض ، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب ابن الأشرف ويقول: إنّ محمدا يحيف علينا [3]، كما تتكلم السورة عن وصايا إلهية ربانية إلى عباده في مسائل الاستئذان قبل الدخول وكان سبب نزول هذه الآية [4]: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ

[1] - سورة النور /27
[2] - سورة النور/46
[3] - ينظر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، مرجع سابق ص337
[4] - سورة النور /56

لِيَسْتَـٔذِنكُمُ ٱلذِينَ مَلَكَتَ اَيْمَـٰنُكُمْ) في أسماء بنت مرثد ، فقد قيل انّه كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالت : إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرهها فأنزل الله هذه الآية.[1]

4 المعنى الإجمالي للسورة:

ما يلاحظ عند دراستنا لسّياق المقامي لسورة النور رغم اختلاف الحوادث التي ذكرت فيها ، إلاّ أنّ هناك رابطا واحدا يجمعها وهو تقرير الأحكام الشرعية في أذهان المسلمين وجعلها دستورا يسيرون وفق منهجه وأحكامه ، كما نجد أنّ مجمل هذه الحوادث تصب في الجانب الأخلاقي الاجتماعي سواء تعلق الأمر بالزنا أو القذف أو النكاح أو الاستئذان في خلوة أو غير ذلك ، فكلّ هذه المظاهر قد قنن لها الشارع الحكيم قواعد وأحكاما وفرضها على المسلمين وهذا من إعجاز القرءان ، حينما افتتح الله السورة بقوله: (سُورَةٌ اَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ۝١)[2] فكلّ أحكام هذه السورة الشرعية من بداية السورة إلى نهايتها أحكام قطعية دائمة الحجية على عباد الله ، قد أكّدت بثلاثة أفعال في فعل قولي واحد للدلالة على أنّ أحكام هذه السورة لن تنسخ بسواها من الأحكام.

المبحث الثاني : التحليل التداولى للبنى الحجاجية لسورة النور.

أولا: تقسيم السورة إلى مقاطع.

بعد ذكر أسباب النزول للسورة في مواضعها المختلفة ، فإنّه يمكننا القول أنّ الآيات تتحدث عن الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتّصف بها المجتمع المسلم ، من الابتعاد عن

[1] - ينظر أبي الحسن على بن أحمد أحمد الواحدي ، مصدر سابق ، ص341
[2] - سورة النور /1

الزنا والقذف والعواقب التي تترتب عليها في الدنيا من جلد أو رجم حتى الموت ، ومن استحقاق عذاب الله وسخطه لمن لم يؤمن به ، وبالمقابل ما أعدّه الله تعالى لمن صدّق بما قال وآمن من نعيم في الدنيا ؛ سكينة روح وهدوء بال وذكر بين الناس حسن وأخرى جنّة عرضها السموات والأرض ، كما يجدر بنا التنبيه على أنّ الله تعالى شرّع بديلا للآفات الاجتماعية ألا وهو النكاح ، وسدّ ذريعة الحرام بذكر أخلاقيات يجب الاتصاف بها كالاستئذان وغير ذلك.

وبعد القراءة للسورة القرآنية وذكر أحداثها وقبل الولوج في تحليل الإستراتجية الخطابية القرآنية ، واستنادا على ما اعتمدنا عليه من كتب التفسير فإننا نقسم السورة إلى مقاطع محورية أساسية وهي كالتالي:

المقطع الأول: تقرير حرمة الزنا ، ووجوب الابتعاد عنه والأحكام الشرعية الواردة فيه، وذلك من قوله تعالى: (سُورَه أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا) إلى قوله تعالى: (وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ ۝٣).

المقطع الثاني: التغليظ من أمر القذف ورمي المحصنات بغير حق ، وما يجب على الرجل إذا اتهّم أهله وتفصيل في آيات اللعان ، وما ينبغي فعله مع من ابتلي بشيء من ذلك، وذلك من قوله تعالى: (وَالذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ) إلى قوله: (وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠).

المقطع الثالث: تبرئة الله تعالى لعائشة أم المؤمنين ، وبيان ما كان عليه حال الصحابة في تلك الفتنة من عدم الخوض فيها ، وما كان عليه حال المنافقين ورئيسهم "عبد الله بن أبي بن سلول" ، وعتاب الله لمن وقع في الفتنة من أصحاب رسول الله وتقرير حد الجلد لمن خاض في عرض أم المؤمنين وما أحاط بالحادثة من وقائع حصلت مع بعض أصحاب

رسول الله ؛ مثل ما وقع مع أبي بكر الصديق حينما أمسك النفقة التي كان يعطيها لقريبه ويبدأ ذلك من قوله تعالى: (إِنَّ ٱلذِينَ جَآءُو بِالِافْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) إلى قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾).

المقطع الرابع: تحريم اقتحام البيوت من غير استئذان ، ومن يجوز لهم رؤية المرأة على زينة ، وهم أشخاص معينون عرفواْ بالمحارم ، وأمر الله تعالى لعباده بغض البصر وكل هذه الوسائل سدّ لذريعة الزنا ويبدأ ذلك من قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَانِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۖ) إلى قوله تعالى: (وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾).

المقطع الخامس: ما شرّعه الله جل وعلا لعباده المؤمنين من أمور النكاح الشرعي دفعا للشهوة ، وسكينة للنفس ، وسلوة للعبد وإعانة له على ترك ما حرم الله ، والترغيب في النكاح الشرعي، والصبر لمن لم يستطع عليه طولا حتى يغنيه الله من فضله ، وذلك ابتداء من قوله تعالى: (وَأَنكِحُواْ ٱلاَيَـٰمىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ) إلى قوله تعالى: (وَلَقَدَ اَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْۚ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلاً مِّنَ ٱلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾) .

المقطع السادس: بيان عظمة الله عزّ وجل وعلوه على خلقه ، وأنّه المجازي عباده المؤمنين الذاكرين له كثيرا والمسبّحين لجلاله. لا يقدمون عليه تجارة ولا لهوا وبالمقابل الجاحدين لنعمته الكافرين بها الذين لا ينتفعون بعملهم السيئ يوم القيامة بل ذكر الله أنه يجعلها لهم

سرابا يلهثون خلفه وذلك من قوله تعالى: (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِۖ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ) إلى قوله: (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٣٩﴾).

المقطع السابع: التذكير بقدرة الله وسلطانه على جميع خلقه ، واعتراف جميع مخلوقاته بوحدانيته وتسبيحه من ملائكة في السماء ، ومخلوقات متنوعة في الأرض ، وذلك لما له من قدرة مطلقة في تسيير الكون ، وتبدأ من قوله تعالى: (اَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَاللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾) إلى قوله تعالى: (لَّقَدْ اَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۖ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾).

المقطع الثامن: بيان حال المنافقين وما كانواْ عليه من التلون والدوران حيث إنّهم يحكمون الله ورسوله إذا كان لهم الحق ، ويعرضون عن تحكيم الشرع ما رأوه عليهم ، ومقارنتهم بحال المؤمنين الذين يخضعون لله على كلّ حال ، كما يذكر الله أنّ التمكين يكون لعباد الله الصالحين وأن الدائرة على الكافرين ، وتبدأ من قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُومِنِينَ ﴿٤٧﴾) إلى قوله تعالى: (لاَ تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلاَرْضِۖ وَمَأْوِيٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾).

المقطع التاسع: في هذه المقطع معالجة لمظهر من مظاهر الزنا ، وذلك من خلال تشريع الاستئذان سدا لذريعة الدخول بلا علم ، وحتّى لا يكون الرجل أو المرأة دون ستر خاصة بين الغلمان والعبيد ، دفعا للريبة فهاهنا قضية بلاغية من خلال ارتباط المعاني بعضها ببعض ويبدأ هذا المقطع من قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـٔذِنكُمُ ٱلذِينَ مَلَكَتَ ٱيْمَـٰنُكُمْ وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ) إلى قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلذِينَ يَسْتَـٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَاذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾).

المقطع العاشر: من دلالة إعجاز القرآن وأنّه من عند الله تكامل حروفه وسياقاته ولو كان من عند غير الله لوجدواْ فيه اختلافا كثيرا وإن سورة بدأها المولى عز وجل بقوله (سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). لا يناسب نهايتها إلا ما قاله الله تبارك وتعالى في خاتمتها: (أَلَآ إِنَّ لِلهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّيُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾). فالذي شرع الأحكام وحد الحدود يذكّر عباده أنه غني عن كل شيء وله كل شيء وعليم بأمر كل شيء عليم بمن تمسك بالحدود ووقف عندها وعليم بمن خاض فيها وتعداها وذلك حتى يتذكر الإنسان أنّ الذي يعلم كل شيء ، به محيط ، كما كان الختام بتعظيم الرسول الذي هو مبعوث من عند الله ، وفي هذا الخطاب القرآني وقفتان فهو أمر لعباد الله

المؤمنين ألاّ ينتقصواْ من قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخبار للمنافقين أنّهم لن ينتقصواْ من هذا الرسول الأمين وهذا المقطع من آيتين اثنين وهما قوله تعالى: (لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ ٱلذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَ ٱمْرِهِۦ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ اَلآ إِنَّ لِلهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّيئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾).

ثانيا: التحليل التداولي الحجاجي لسورة النور.

المقطع الأول: تقرير حرمة الزنا ووجوب الابتعاد عنه والأحكام الشرعية الواردة فيه.

قال تعالى: (سُورَةٌ اَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاَّ زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ ﴿٣﴾).

لمّا ذكر الله مشركي قريش واستطرد في بيان أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك وإلى مآلهم في النار [1] ، فقد كان أول ما افتتحت به سورة النور هو قوله تعالى : (سورة) ويجوز أن يكون إعراب (سورة) خبر عن مبتدإ مقدر دلّ عليه ابتداء ، فيقدّر هذه سورة واسم الإشارة المقدّر يشير إلى حاضر في السمع وهو الكلام المثالي ، فكل ما نزل من هذه السورة وألحق

[1]- ينظر: محمد بن يوسف الشهير(بأبي حيان الأندلسي) ، تفسير البحر المحيط ، دن دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1 1994 ، ج6 ص392

بها من الآيات فهو من المشار إليه باسم الإشارة المقدر، كما يجوز أن تكون سورة مبتدأ ويجوز قوله الزانية والزاني إلى نهاية السورة خبر عن سورة ، فيكون بذلك الابتداء بكلمة سورة ثم أجري عليه من الصفات تشويقا إلى ما يأتي بعده ، ومعنى سورة جزء من القرآن معين ببداية ونهاية وجملة "أنزلناها" وما عطف عليها في موضع الصفة ل "سورة" ، والمقصود بهذه الأوصاف التنويه والإشادة ليقبل المسلمون عليها ، وفي قوله أنزلناها وما يدل عليه فعل الإنزال من الإسناد إلى ضمير الجلالة الدال على العناية بها وتشريفها [1] ، وصيغتا الزانية والزاني صيغتا اسم فاعل وهو هنا مستعمل في أصل معناه وهو اتصاف صاحبه بمعنى مادته ويعتبر بمنزلة الفعل المضارع في الدلالة على الاتصاف بالحدث في زمن الحال ، فكأنّه قيل التي تزني والذي يزني فاجلدواْ كلّ واحد منهما ، والجلد مترتب على التلبس بفعل الزنا[2]، تتوالى الآيات في بداية السورة عن حرمة الزنا ووجوب الابتعاد عنها و الزواجر التي أمر الله بها للحد من هذه الآفة من خلال جلد الفاعل بلا رحمة وشهود جماعات المسلمين ليرتدع من كانت تسول له نفسه انتهاك حرمات المسلمين وإقامة الحجة على عباد الله المؤمنين وكل هذه الأحكام السالفة هي أفعال كلامية جاءت بصيغة الإخبار متضمنة لمعنى مستلزم يفهم من سياق الخطاب وهو حرمة الزنا وضرورة الابتعاد عنها .

المقطع الثاني: التغليظ من أمر القذف ورمي المحصنات بغير حق ، وما يجب على الرجل إذا اتّهم أهله ، والتفصيل في آية اللعان وما ينبغي فعله مع من ابتلي بشيء من ذلك.

قال تعالى: (وَالذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَـٰدَةً اَبَداً وَاُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝ إِلاَّ ٱلذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ

[1] - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير، دن الدار التونسية للنشر تونس1984 ، المجلد 8 ، ص 144
[2] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور المصدر نفسه ص145

وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠)

1.2 التحليل التداولي الحجاجي للآيات :

بعد ما جاء في الآيات الأولى ذكر تحريم الزنا وعدّه من الكبائر التي يؤاخذ الله جلّ وعلا عليها وعدّها من الأمور المستقذرة التي تسقط العبد من عيون النّاس ، وحتّى لا تصير أعراض المسلمين والمسلمات لعبة يتقاذفها الناس في الشوارع والأسواق فقط حرمّ الشارع الحكيم السبل التي تفضي إلى اتهام العبد بلا بينّة ، وسدّا لما كان فاشيا في الجاهلية من رمي النّاس بعضهم بعضا في الزنا إذا رأواْ بين الرجال والنساء تعارفا أو محادثة ، ولما كان جاريا من طعن في الأنساب بهتانا إذا ما لاحظواْ قلّة شبه بين الرجل وأبيه فكان مما يقترن بحكم حد الزنا أن يذيل بحكم الذين" يرمون المحصنات" إذا كانواْ غير أزواجهن ، وهو حد القذف[1]. كمّا شرّع الله أحكاما خاصة للمتزوجين دون غيرهم من الناس ، وهو حكم اللعان وعلى هذا الأساس يمكن عد الفعل الكلامي الأساس " تحريم القذف" وهناك أفعال موالية فرعية داعمة وهي على النحو التالي:

أ_ الفعل الكلامي الأساسي :تحريم القذف

ب_التحذير من أمر القذف.

ج_ الأفعال الكلامية الداعمة:

[1] ينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق، ص 158

ـ (وَالذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً)

ـ (وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً اَبَداً)

ـ (وَاوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ)

2.2 إعطاء الحلول لمن اتّهم شخصا ببيّنة .

أ_ الأفعال الكلامية الداعمة:

ـ (وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ).

ـ (وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ).

جاء في سياق هذه الآيات التي هي عبارة عن توصيات لعباد الله المؤمنين ، سلسلة من الأفعال الكلامية الداعمة للفعل الرئيسي (حرمة القذف) وهذه الأفعال الداعمة وضّحت حرمة الوقيعة في الأعراض بلا بينة ولا دليل من جهة ، ومن جهة أخرى إيجاد حلول لمن تأكد من وقوع الفاحشة ، وذلك بأن يأتي بأربعة شهود فإن كان المتهم زوج ا لمن اتهمه فتكفيه شهادته حيث يشهد عليه أربع شهادات بالله ثم يقول في الخامسة أن لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين ، فإن اعترف المتهم أقيم عليه حد الرجم ، ومشروعية اللعان دليل على أنّ الزنا والقذف ليسا بكفر من فاعلهما [1] ، وإن أنكر فإنّه يشهد أربع شهادات بالله أنّ الذي اتّهمه من الكاذبين ، ويقول في الخامسة أن لعنة الله عليّ إن كان من الصادقين ثم يفرق

[1]- ينظر: محمد بن يوسف ، مصدر سابق ، ص400

بينهما ويذهب كل منهما في حال سبيله ، والقول في أيمان المرأة مثل القول في أيمان الرجل وعدل عليه بالدعاء بالغضب[1] ، لأنّ هذه السلسلة من الأفعال اللغوية تتكامل لتنسج لنا فعلا لغويا عاما يعتبر هذا الأخير عنصرا رئيسيا في الحفاظ على الأسرة من التفكك بكلمة لا دليل عليها وهو ؛(تحريم القذف) فإن وجد هذا الفعل فقد شرع الله جلّ وعلا ما يعالج هذا الأمر بالحكمة والتثبت تشكلت في صورة أفعال داعمة للفعل الأول.

ب_ تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية.

_ الأفعال الكلامية الحجاجية لحرمة القذف.

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً . ← قوة حرفية مباشرة : الأمر.

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا. ← قوة حجاجية مستلزمة مقاميا: حرمة القذف.

وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَـٰسِقُونَ. ← قوة حجاجية مستلزمة مقاميا: حرمة القذف.

ج_ بنية الأفعال الكلامية.

اشتركت الأفعال الكلامية السابقة في فعل كلامي مباشر جاء على صيغة الأمر ، وفعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا يكتشف من المعنى الصريح للفعل الكلامي ومن مقام التخاطب ، أمّا الفعل الكلامي المباشر فقد تمثل في الأمر بالجلد وعدم قبول الشهادة لمن خاض في شيء من ذلك ، وذلك للحد من الظواهر التي كانت تقع في أوساط المسلمين وكيف كان يعالجها الشرع من خلال الحدود التي حدّها الله تعالى للتخلص من هذه الآفة عن طريق الجلد أو اللعان ، "واللعن واللعنة الإبعاد بتحقير" [2] وإذا تمّ ربط الخطاب بسياقه الخارجي فإنّ قصديّة المتّكلم لا تتوقف عند المعنى الصريح للفعل الكلامي ، بل تتعداه إلى

[1]- ينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق، ص168

[2] - محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص167

معنى ضمني مستلزم يستنبط من مقام التواصل والتخاطب الذي يحيط بطرفي الخطاب ، وهذا المعنى الضمني يتمثل في التحريم القطعي للقذف بلا برهان.

سعى المتكلم لاختيار مثيرات كلامية رآها الأنسب للتعبير عن مقصديته الحجاجية وأكثر تأثيرا في المتلقي وذلك من خلال عدوله عن توظيف المركب الاسمي إلى المركب الفعلي الذي يؤتى به للدلالة عن تحول الشيء . ولذلك صدر خطابه بمركب فعلي في قوله : (وَالذِيں يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً اَبَداً وَاوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ). والرمي حقيقة قذف شيء من اليد وشاع استعماله في نسبة فعل أو وصف إلى شخص وأسند الفعل "يرمون" إلى اسم موصول المذكر وضمائر" تابواْ" و"أصلحواْ" وصف" للفاسقين" ، وعدي فعل الرمي إلى مفعول بصيغة الإناث بناء على الغالب أو مراعاة لقصّة كانت سبب نزول الآية ولكن هذا الحكم في الجميع يشمل أهل هذه الصيغة في مواقعها كلّها عن طريق القياس[1].

د_ الأفعال الكلامية الحجاجية في إيجاد الحلول لمن اتهم شخصا ببينة.

_ بنية الفعل الكلامي الأوّل: (وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَالْخَٰمِسَةُ أَن لَّعْنَتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ).

قوة حرفية مباشرة: الإخبار.

قوة حجاجية مستلزمة مقاميا: الاتهام.

[1] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص159

دلّت الصيغة الحرفية المباشرة للفعل الكلامي على الإخبار بما يجب فعله مع من اتّهم أهله بشيء من الفاحشة ، وهذا الفعل صريح يستدل عليه بوجود جملة من القرائن اللغوية التي تدل على وجود الإخبار في الآية بغية التمسك بالأحكام التي فرضها الله جل وعلا ، وهذا ما يحيل إلى معنى مستلزم مقاميا ، وهو الاتّهام وذلك من خلال الشهادة على المتهم أربع شهادات أنّه مرتكب للفاحشة.

_ بنية الفعل الكلامي الثاني:

وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٨ وَالْخَـٰمِسَةَ أَنْ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ)

قوة حرفية مباشرة: الإخبار بما يقوم به المتهم.

قوة حجاجية مستلزمة مقاميا: دفع التهمة أو إثباتها.

تدل القوة الإنجازية الحرفية لهذا الفعل على الإخبار بما يقوم به المتهم إذا وجه له الاتهام ، فإذا أثبت ما نسب إليه فهو في هذه الحالة يعاقب بالرجم حتى الموت كفارة له ، وإذا أنكر المتهم فهنا يلزمه فعل ما أمره الله به ، وهو أن يشهد أربع شهادات بالله أنّ الذي اتهمه كاذب ويقول في الخامسة أنّ علي غضب الله إن كان من الصادقين ، فإن قلت لم خصّت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله؟ قلت: تغليضا عليها لأنّها هي أصل الفجور ومتعبة بأطماعها [1] ، وبهذا يكون المتكلم قد تجاوز الفعل اللغوي "الإخبار" إلى فعل آخر مستلزم مقاميا ألا وهو نفي التهمة التي ألصقت به.

[1] - ينظر: محمد بن يوسف ، مصدر سابق ، ص400

إنّ جل الأفعال الكلامية السابقة سواء المدعمة للفعل الرئيسي(تحريم القذف) ، أم الحلول البديلة له حتى تحفظ أعراض المسلمين تتضافر لخدمة فعل كلامي هو : التغليظ من أمر القذف وحرمته وما يجب على المسلم فعله إذا أبتلي بشيء من ذلك.

هـ_ الروابط الحجاجية والسلم الحجاجي: غلّظ الله جلّ وعلا من أمر القذف وجعل له حدودا وأصّل له أحكاما أمر بلتّباعها ، ويظهر ذلك من خلال سلسلة من الأفعال الكلامية المتفاوتة من حيث قوتها الحجاجية ، فجعل الله أيمان الرجل ، والتعانه في الخامسة مخرجا له الذي يجب لها برميه إيّاها ، كما جعل الشهداء الأربع مخرجا له من ذلك وزائلا عنه الحدّ [1] ، ويمكن تمثيل هذا التفاوت على النحو التالي:

تحريم قذف المحصنات

ـ وَالذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ

ـ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً

ـ وَلا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَـٰدَةً اَبَداً

ـ وَاُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ

استند المتكلم إلى مجموعة من الحجج التي أوردها حسب شدة وقوة تأثيرها من الأقل إلى الأكثر تأثيرا ، فبدأ بذكر الجلد ثم ردّ شهادتهم وعدم قبولها ، ثم وصفهم بالفسق وهو أشد من الأوليين ، وذلك لأن الجلد لا يدوم مع المجلود عكس عدم قبول الشهادة والفسق ، فعدم قبول شهادة القاذف يظل للمستقبل لأنّه لمّا قذف بدون إثبات قد دلّ على تساهله في الشهادة

[1] - ينظر : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرءان ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية ، دن هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط1 القاهرة 2001 ، ص 188/187

فكان حقيقا بأن لا يؤخذ بشهادته ، والأبد الزمن المستقبل كله واسم الإشارة للإعلان بفسقهم ليتميزواْ في هذه الصفة الذميمة ، والحصر في قوله "وأولئك هم الفاسقون" للمبالغة في شناعة فسقهم حتى كأنّه يخيّل للناظر أن ما عداه من الفسوق لا يعدّ فسقا ، ثمّ أورد الله جلّ وعلا بعد هذا كلّه الاستثناء ، وحقه أن يعود إلى جميع ما تقدم قبله إلا أنّه راجع إلى عدم قبول شهادتهم وإثبات فسقهم وغير راجع إلى إقامة الحدّ بقرينة قوله من بعد ذلك.[1]

انتقل المتكلم في عرض حججه من أدناها إلى أقواها مستعينا برابط هو الفاء والواو، والواو مع اسم الإشارة ، وهنا لا تنحصر وظيفة هذه الروابط في العطف فقط بل تؤدي أيضا دورا حجاجيا من خلال كونها تربط حجة بحجّة أكبر من سابقتها.

أمّا الفعل الحجاجي فقد جاء معطوفا بالواو مع اسم الإشارة ، ثمّ ذكر الصفة الازمة لمن كان هذا حاله لتدل على سوء هذا الفعل وفظاعة المتلبّس به من خلال وجود قرينة في كلّ كلمة من كلمات الفعل الأخير ، فالواو و الضمير "أولئك" تأكيد ، ثمّ أكّد بلفظ آخر هو "هم" ثم أكّد بصفة هي " الفاسقون" لتجتمع في هذا الخطاب أربع مؤكدات حجاجية لتؤكد فعل شناعة القذف وقباحة القاذف من خلال هذه السلسلة من الأفعال اللغوية.

ملاحظة: أطراف العملية الحجاجية هم : النبي صلى الله عليه وسلّم والصحابة رضوان الله عليهم ، أمّا المخَاطب المحاجَجُ فهو الرسول عليه الصلاة والسلام باعتباره المخَاطب المباشر والمقصود بالخطاب ، وهناك متلق آخر يخرج الخطاب إليه ويعتبر متلق غير مباشر، وهو المجتمع المسلم الذي كان مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وأتباعه الذين يأتون بعده من خلال ضبط قواعد وقوانين يسير عليها المجتمع الموحّد.

المقطع الثالث: تبرئة الله تعالى لعائشة أم المؤمنين ، وبيان ما كان عليه حال الصحابة في تلك الفتنة من عدم الخوض فيها وما كان عليه حال المنافقين.

[1] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص161

ذكرنا سابقا سبب نزول هذه الآيات وحتى تتضح الرؤية أكثر فإنّنا نذكر القصة كما ذكرها أهل التفسير فقد ذكر الطبري " أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها. قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزاة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل إلى المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي ، فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فاحتملوا هودجي ، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه ، قالت : وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلهن ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إلي ، فبينا أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيني ،] ص121 : [فنمت حتى أصبحت . وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش ، فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما تكلمت بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها ، فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكيت شهرا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف

الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : " كيف تيكم؟ " فذلك يريبني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت ، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع ، وهو متبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح، فقلت لها : بئس ما قلت! أتسبين رجلا قد شهد بدرا؟ فقالت : أي هنتاه ، أولم تسمعي ما قال؟ قلت : وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضا على مرضي ، فلما رجعت إلى منزلي ، ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : " كيف تيكم؟ " فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قال : " نعم " ، قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت أبوي ، فقلت لأمي : أي أمتاه ، ماذا يتحدث الناس؟ فقالت : أي بنية ، هوني عليك ، فوالله] ص [122 :لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا أكثرن عليها . قالت : قلت : سبحان الله ، أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : نعم ، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت ، فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي ، فقال لأمي : ما يبكيها؟ قالت : لم تكن علمت ما قيل لها ، فأكب يبكي ، فبكى ساعة ، ثم قال : اسكتي يا بنية ، فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى ظن أبواي أن البكاء سيفلق كبدي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، حين استلبث الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله قالت : فأما أسامة ، فأشار على رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال : يا رسول الله ، هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما علي فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعني : بريرة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : " هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ " قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها ، أكثر من أنها حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: " من يعذرني ممن قد بلغني أذاه في أهلي؟ " يعني عبد الله بن أبي ابن سلول ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا : " يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي " فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ; فقام سعد بن عبادة ، فقال ، وهو سيد الخزرج، وكان رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية ، فقال : أي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عمة سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله : صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ، ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبوي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، استأذنت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ; قالت : فبينا نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس عندي ، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء ، قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : " أما بعد يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة

فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله ، وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه " . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، قلص دمعي ، حتى ما أحس منه دمعة ، قلت لأبي : أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا ، حتى استقر في أنفسكم ، حتى كدتم أن تصدقوا به ، فإن قلت لكم : إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف) فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (ثم توليت واضطجعت على فراشي ، وأنا والله أعلم أني بريئة ، وأن الله سيبرئني ببراءتي ، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها ، قالت : والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي ، من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت : فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها] ص [124 :أن قال : " أبشري يا عائشة ، إن الله قد برأك! " فقالت لي أمي ، قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي . فأنزل الله) : إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم عشر آيات ، فأنزل هذه الآيات براءة لي . قالت :فقال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ، قالت : فأنزل الله) : ولا يأتل أولواْ

الفضل منكم والسعة (حتى بلغ : (غفور رحيم) فقال أبو بكر : إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : لا أنزعها منه أبدا. [1]

لقد أوردنا هذه القصة بكاملها حتّى يتسنّى لنا والقارئ تحديد المقام ومعرفة السيّاق والسبب الذي وردت فيه الحادثة ، وحتى يسهل علينا توضيح مضمون الرسالة التي دل عليها الفعل الكلامي ويتشكل وفق إستراتيجية خطابية على النحو التالي:

_ عتاب الله لمن وقع في عرض أم المؤمنين ، وحدّ من قذفها ، وتوعده جلّ وعلا لمن تكلم فيها من المنافقين.

_ الإشادة ببراءة عائشة رضي الله عنها.

1.3 عتاب الله لمن وقع في عرض أم المؤمنين ، وحدّ من قذفها وتوعده جلّ وعلا لمن تكلم فيها من المنافقين.

قال تعالى (إِنَّ ٱلذِينَ جَآءُو بِالِإفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لاَ تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ لِكُلِّ إِمْرِءٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلِاثْمِۚ وَالذِے تَوَلّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلاَ جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَاتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَاوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِے ٱلدُّنْيا وَالاَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِے مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُۥ هَيِّناً

[1]- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري : مصدر سابق ، ص 198/ 204

وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلآيَٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ, وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞(حزب) يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَنْ يَّتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُ, يَامُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ, مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُّؤتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَّغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). فمعنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلذِينَ جَآءُو بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ).

استئناف ابتدائي لأنّ هذه الآيات حتّى قوله تعالى والله سميع عليم ، نزلت في زمن بعيد عن نزول الآيات الأولى والإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ وهو منشق من الأَفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء ، والإفك حديث اختلقه المنافقون وراج عند المنافقين ونفر من سذّج المسلمين ، وعصبة بدل من ضمير جاؤواْ ، وجملة لا تحسبوه شرّا لكم خبر إنّ ، والمعنى لا تحسبواْ إفكهم شرا لكم ، ولمّا كان الإفك متعلقا بفعل جاؤواْ صار الضمير في قوة المعرّف بلام العهد ، والتقدير لا تحسبواْ الإفك المذكور شرا لكم ، كما أنّه يجوز عصبة خبر إنّ ويكون الكلام مستعملا في التعجب من فعلهم [1] ، وذكر عصبة تحقير لهم

[1]- ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص171

ولقولهم , أي لا يعبأ بقولهم ، ووصف العصبة بأنّهم "منكم" ، يدل على أنّهم من المسلمين ، وفى ذلك تعريض على أنهم حاداوْ عن خلق الإسلام حيث تصدواْ للمسلمين ، وقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لإزالة ما حصل في نفوس المؤمنين من الأسف من اجتراء عصبة على هذا البهتان الذي اشتملت عليه القصة ، فضمير تحسبوه عائد على الإفك والمعنى نفي أن يكون ذلك شرا لهم لأنّه يضيرهم بأكثر من ذلك للأسف الزائل ، وهو دون الشر لأنّه آيل إلى توبة المؤمنين فيتمخض إثمه للمنافقين ، وهو جماعة أخرى لا يضرّ ضلالهم المسلمين، وبعد إزالة خاطر أن يكون ذلك شرا للمؤمنين أثبت أنّه خير لهم فأتى بالإضراب لإبطال أن يحسبوه شرّا ، وإثبات أنّه خير لأنّ فيه منافع كثيرة إذ يتميّز به المؤمنون الخلّص من المنافقين ، وتشرع لهم بسببه أحكاما تردع أهل الفسق وتتبين منه براءة فضلائهم ، وعدل أن يعطف خيرا عن شر بحرف ؛ (بل) فيقال بل خيرا لكم إيثارا للجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام [1]. ولولا هنا للتوبيخ بمعنى(هلا) كما هو شأنها إذا وليها الفعل الماضي ، وهو هنا :(ظنّ المؤمنون) ، وإذا سمعتموه هو ظرف متعلق بفعل الظن ، وهو بذا أسند السماع لجميع المخاطبين ، وخصّ بالتوبيخ من سمعواْ ولم يكذبواْ الخبر.[2] ثم تتوالى أغلب الآيات بعد هذ ا المقطع في توبيخ العصبة لزيادة تحقيق كذبهم ، وزاد في توبيخهم في قوله: "وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم" ، وتوجيه الخطاب إلى الله في قوله : " سبحانك " للإشعار بأنّ الله غاضب على من يخوض في ذلك ، لذا وجب عليهم أن يتوجهواْ لله بالتوبة لما خاضواْ فيه والاحتراز من المشاركة لمن لم يخوضواْ فيه .

فإذا كان المتكلم يخاطبهم بلغة يفهمونها ويقفون عند أدقّ معانيها ، ممّا يجعل المخاطب قادرا على استيعاب مضمون الرسالة ، وفي هذه الحالة يبادر المسلم الذي عصى الله بالتوبة إليه والإنابة من خلال تحليله لهذا الخطاب ، لكن إذا ثبت أنّ مضمون الرسالة الذي دلّ عليه الفعل الكلامي المذكور في الآيات السابقة فهنا لا تبقي حجة للمخاطب

[1] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق ، ص 172/171
[2] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه ، ص 174

للخوض في عرض عائشة وقد برّأها الله ووبّخ من يتهمها اللّهم إلا ما كان من المنافقين ، طالما أنّ النّص قد نزل ببراءتها واتهام من يقع فيها، وعليه فإنّ الفعل الكلامي السابق لا يقف عند حدود الإخبار، بل يتعداه إلى ما يقتضيه الإخبار، وهذا ما وضحه الفعل الكلامي الموالى وهو الذكر الصريح لبراءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

2.3 الإشادة ببراءة عائشة رضي الله عنها.

قال تعالى : (إِنَّ ٱلذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُومِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَالاَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَبِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ).

جاءت جملة "إنّ اللذين يرمون المحصنات " , استئناف بعد استئناف قوله "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنواْ " ، والكل تفصيل للموعظة التي في قوله : " يعظكم الله أن تعودواْ لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين " ، فابتدأ بوعيد العودة إلى محبّة ذلك وثنّ ى بمحبّة العودة إلى إشاعة القالة[1].

بعد أن برّأ الله عائشة رضي الله عنها ممّا قال عصبة الإفك ، وفضحهم بأنّهم ما جاؤواْ إلاّ بسوء الظن واختلاق القذف وتوعدهم وتهديدهم ، ثم تاب على اللذين تابواْ ، أنحى عليهم ثانية ببراءة رسول الله صلى الله عله وسلم من ظانّ تكون له أزواج خبيثات ، لأنّ عصمته وكرامته على الله يأبى الله معها أن تكون أزواجه غير طيّبات ، فمكانة الرسول

[1] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق ، ص 190

صلى الله عليه وسلم كافية في الدلالة على براءة زوجاته وطهارتهم ، وهذا من الاستدلال على حال الشيء بحال مقارنه ، ومماثله وفي هذا تعريض بالذين اختلقواْ الإفك بأنّ ما أفكوه لا يليق مثله إلا بأزواجهم ، فقوله: "الخبيثات للخبيثين" تعريض بالمنافقين المختلقين الإفك.

والابتداء بذكر الخبيثات ، لأنّ غرض الكلام الاستدلال على براءة عائشة وبقية أمهات المؤمنين ، والاّم في قوله "للخبيثين" للاستحقاق ، والخبيثات و الخبيثون والطيبات والطيبون جرت على موصوفات محذوفة ، يدلّ عليها السياق والتقدير في الجميع : الأزواج.[1]

إنّ الصورة الحجاجية الواردة في هذه الآية تسمى عند بيرلمان المقارنة ، ذلك أنّ هذه المقارنة حجة تضع متلقي الخطاب المحاجَجْ بين صورتين متضادين ، إذ كيف يكون الخبيث فراش للطيب والعكس.

_ أطراف العملية الحجاجية:

في هذا المقطع تنتقل فيه العملية الحجاجية من شخص إلى آخر ، كما أنّه يمكننا أن نقسّم أطراف هذه العملية الخطابة إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية انطلاقا من الآية والحديث.

_ الشخصيات الرئيسية: الرسول صلى الله عليه وسلم(بوحي من الله تعالى) ، عائشة أمّ المؤمنين ، عبد الله بن أبي بن سلول (رأس المنافقين).

الشخصيات الثانوية: أبو بكر الصديق ، علي بن أبي طالب ، أسامة بن زيد ، سعد بن معاذ الأنصاري ، سعد بن عبادة ، أسيد بن حضير ، أم مسطح ، مسطح .

[1] - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه ، ص 195

تدور أحداث هذا الخطاب حول ثلاث مراحل رئيسة فهو: إمّا عتاب للمؤمنين لمن زلت قدمه في هذه الفتنة وحدّه و جلده ، أو تحذيرا من المنافقين الذين يتربصون بالمؤمنين وتوعدّهم بالعذاب الأليم ، أو تبرئة لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

المقطع الرابع: تحريم دخول البيوت من غير استئذان : وذلك بداية من قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَانِسُواْ) إلى قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ).

1.4 سد ذرائع الوقوع في الأعراض : وذلك بداية من قوله تعالى: (قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَالِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ) إلى قوله تعالى: (وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

2.4 تحريم دخول البيوت من غير استئذان : عدل الله تعالى عمّا يتّصل بالرمي والقذف وما يتعلّق بهذا الحكم إلى ما يليق به ، لأنّ أهل الإفك إنّما وجدواْ السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كأنّها طريق التهمة ، فأوجب الله تعالى ألاّ يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام ، لأنّ في الدخول على هذا الوجه وقوع التهمة ، وفي ذلك من المضرّة مالا خفاء به فقال: (يا أيّها الذين ءامنو ..الخ)[1].

ـ سد ذرائع الوقوع في الفواحش : قال تعالى: (قل للمؤمنين) وخصّهم بذلك لأنّ غيرهم لا يلزمهم غضّ البصر وحفظ الفرج عمّا لا يحل له ، ولأنّ هذه الأحكام كالفروع للإسلام والمؤمنون مأمورون بها ابتداء والكفار مأمورون قبلها بما تصير هذه الأحكام تابعة له وإن

[1] - ينظر : محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر ، دن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط الجزء 23 ، ص198

كان حالهم كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها ، والله تعالى أمر المؤمنين كافة بغض البصر وحفظ الفرج رجالا ونساء لأنّ الخطاب يشمل الجميع ، وقوله تعالى: (من أبصارهم) ، و "من" هنا للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به عمّا يحل ورأى البعض أنّ من مزيدة ، وهذا ما قال به الأخفش و سبويه وجاء دخولها في غض البصر دون حفظ الفرج للفتة بلاغية وهي دلالة على أنّ أمر النظر أوسع وذلك أنّه يجوز النظر إلى المحارم لوجوهّهنّ وشعورهّنّ ولا يجوز النظر لفروجهّنّ [1] ، ثم ذكر الله في هذه الآية الأصناف الذين يجوز لهم النظر إلى المرأة ولعلّ السبب في إباحة نظر هؤلاء إلى المرأة كون ذلك أنّهم مخصوصون بالحاجة إلى مداخلتهّنّ ومخالطتهّنّ ، ولقلة توقع الفتنة بجهاتهّنّ ولما في الطباع من النفرة عن مجالسة الغرائب ، كما أنّ المرأة تحتاج إلى صحبتهم في الأسفار والنزول والركوب وغير ذلك من الأمور الخاصة .

_ أطراف العملية الحجاجية وسياقها الحجاجي :

المحاجج في هذا الخطاب هو الرسول صلى الله عليه وسلم(بوحي من الله تعالى) ، أمّا المخاطب (المحاجَج) فهم المؤمنون ، وهم هنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتسع الخطاب ليشمل أتباعه الذين يأتون بعده ، جاء الخطاب في سياق تقرير أحكام شرعيه لنّجاة من الفتن التي تعترض المؤمنين (حرمة اقتحام البيت بلا استئذان ، و وجوب لبس الحجاب).

[1] - ينظر : محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر ، المصدر نفسه ، ص 203

3.4 التحليل التداولى الحجاجي للخطاب .

أ_ الأفعال الكلامية وبعدها الحجاجي:

قوة إنجازية حرفية : النهى.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ

بُيُوتاً .....مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)

قوة إنجازية مستلزمة : التحذير.

ورد الفعل الكلامي دالاّ على النهي عن خلق سيء ، وهو اقتحام البيوت بلا استئذان وهذا المعنى الصريح يستدل عليه بقرينة بنيوية هي أداة النهي "لا" ، غير أنّ ربط الخطاب بسياقه يحيل المخاطب (المؤمنين) إلى معان أخرى ، مستلزمة مقاميا ، ألا وهي التحذير من اقتحام البيوت بلا استئذان ولا تسليم ولا استئناس ، وقد أجملت حكمة الاستئذان في قوله تعالى: (ذالكم خير لكم لعلكم تذكرون) أي؛ فيه خير لكم ونفع إذا ما تدبرتم هذه الأحكام ، كما أن قوله تعالى :(والله بما تعملون عليم) ، تذييل لهذه الوصايا بتذكريهم بأنّ الله عليم بأعمالهم ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم ، وليزدجر أهل الحيل والتطلع من الشقوق ونحوها وهذا تعريض بالوعيد لأنّ في ذلك عصيانا لما أمر الله به [1] ، والأنس هو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم فيأنس إلى إذنهم له في ذلك ، ويأنسواْ إلى استئذانهم في ذلك ، وقد حكي عن العرب سماعا ، اذهب فاستأنس هل ترى أحدا في الدار؟ بمعنى انظر هل ترى فيها أحدا؟.[2]

[1] - ينظر : الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص201

[2] - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري : مصدر سابق ، ص 246

ب_ من قوله تعالى:

(قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ آبْصٰرِهِمْ..... وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً آيَّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

قوة إنجازية حرفية : الأمر .

قوة إنجازية مستلزمة : وجوب التنفيذ .

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : " قل للمؤمنين يغضواْ من أبصارهم ويحفظواْ فروجهم ، قال: بمعنى من شهواتكم ممّا يكره الله [1] ، ثمّ أعقب الله تعالى حكم الاستئذان ببيان آداب ما تقتضيه المجالسة بعد الدخول ، وهو ألاّ يكون الداخل إلى البيت محدقا بصره إلى امرأة فيه ، بل إذا جالسته المرأة غضّ بصره واقتصر على الكلام ولا ينظر إليها إلا النظر الذي يعسر صرفه ، ولمّا كان الصرف التام لا يمكن جيء في الآية بحرف من الذي هو للتبعيض إيماء إلى ذلك ، إذ من المفهوم أنّ المأمور بالغض فيه هو ما يليق تحديق النظر إليه ، وذلك باستحضار المسلم أحكام الحرام والحلال ، كم ا جاء في الآية الأمر بحفظ الفروج عقب الأمر بالغض من الأبصار، لأنّ النظر رائد الزنا فلمّا كان ذريعة له قصد المتذرع إليه بالحفظ تنبيها على المبالغة في غضّ الأبصار في محاسن النساء ، واسم الإشارة إلى المذكور أي ذلك المذكور من غضّ الأبصار وحفظ الفروج ، واسم التفضيل من قوله "أزكى" مسلوب المفاضلة ، والمراد تقوية تلك التزكية لأنّ ذلك جُنّة من ارتكاب ذنوب عظيمة ، وذيل بجملة "إن الله خبير بما

[1] - ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير (الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التفسير) ، تح عبد الرحمان عميرة ، الجزء4 ص 35

يصنعون " لأنّه كناية عن جزاء ما يتضمنه الأمر من الغض والحفظ ، لأنّ المقصد من الأمر الامتثال ، كما أردف الله تعالى أمر المؤمنين بأمر المؤمنات لأنّ الحكمة في الأمرين واحدة ، وتصريحا بما تقرر في أوامر الشريعة المخاطب بها الرجال بأنّها تشمل النساء ، ولكن لمّا كان هذا الأمر قد يظن بأنّه خاص بالرجال لأنّهم أكثر ارتكابا لضده ، وقع النص على هذا الشمول وذلك بأمر النساء أيضا، ثم انتقل بعد ذلك إلى نهي النساء عن أشياء عرف منهنّ التساهل فيها ، ونهيهنّ عن إظهار أشياء تعودنّ أن يحببن ظهورها ، وجمعها القرآن بلفظ الزينة والزينة ما يحصل به الزين ، و الزين الحُسْنُ مصدر زان ، والباء في قوله بخمرهن لتأكيد اللّصوق مبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب ، زيادة على المبالغة المستفادة من فعل يضربن ، وقوله: "ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن" ، أعيد لفظ ولا يبدين زينتهنّ تأكيدا لقوله ولا يبدين زينتهنّ المتقدم ، وليبنى عليه الاستثناء في قوله إلاّ لبعولتهن .....الخ والذي مقتضى ظاهره أن يعطف على إلاّ لبعولتهنّ لبعد ما بين الأول والثاني، أي ؛ ولا يبدين زينتهن غير الظاهرة إلا لمن ذكرواْ في هذه الآية ، وقد ذكرت الآية اثني عشر مستثنى كلهم مما يكثر دخولهم وسكتت الآية عن غيرهم من من هم في حكمهم بحسب المعنى.[1]

ج_ الروابط الحجاجية والسلم الحجاجي : إنّ محاججة المخاطب (المؤمنون والمؤمنات)، وحملهم على إتّباع مجموعة من الأوامر الشرعية التي تحفظ لهم أعراضهم عن طريق مجموعة من الحجج التي وردت في الخطاب مرتبة حسب قوتها من الأدنى إلى الأعلى ويمكن تجسيدها في السلم الحجاجي الآتي:

[1] - محمد الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص209/203

ب.1 **النهي عن اقتحام البيوت بلا استئذان**

ـ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

حَتَّى

ـ تَسْتَانِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ .....

ف

ـ َإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً.....

و

ـ َإِن فِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَارْجِعُواْ.....

أول ما استهلّ به الخطاب بعد بيان حرمة القذف وعقوبة القاذف في الدنيا والآخرة، وبيان جرم الزنا ، والتشنيع على الزاني هو تحريم الله جل وعلا للأمور الداعية إلى ذلك والجالبة للشك ، وحتى لا يتّهم عبد بغير جرم فقد حرّم الله اقتحام البيوت بلا استئذان، وأسهم في ذلك جملة من الروابط الحجاجية ، كان أوّلها أداة النصب "حتّى"، والمعنى أن الدخول بعد الاستئذان فإن سمح صاحب البيت بالدخول فيدخل المستأذن وإلا فيرجع من حيث أتى، وأما عطف وتسلّمواْ فهو عطف تفسير وقد عبر عن الاستئذان بالاستئناس مع ما في ذلك من الإيماء إلى علّة مشروعيّة الاستئذان . كما أنّ عطف الأمر بالسلام على الاستئناس وجعل كلاهما غاية للنهي على دخول البيوت تنبيها على وجوب الإتيان بهما.[1]

[1] ـ ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص197

ب.2 سد ذرائع الوقوع في الأعراض :

ـ قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ

و

ـ َيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ .....

و

ـ َقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصٰرِهِنَّ

و

ـ َيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ

و

ـ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ .....

و

ـ َلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ

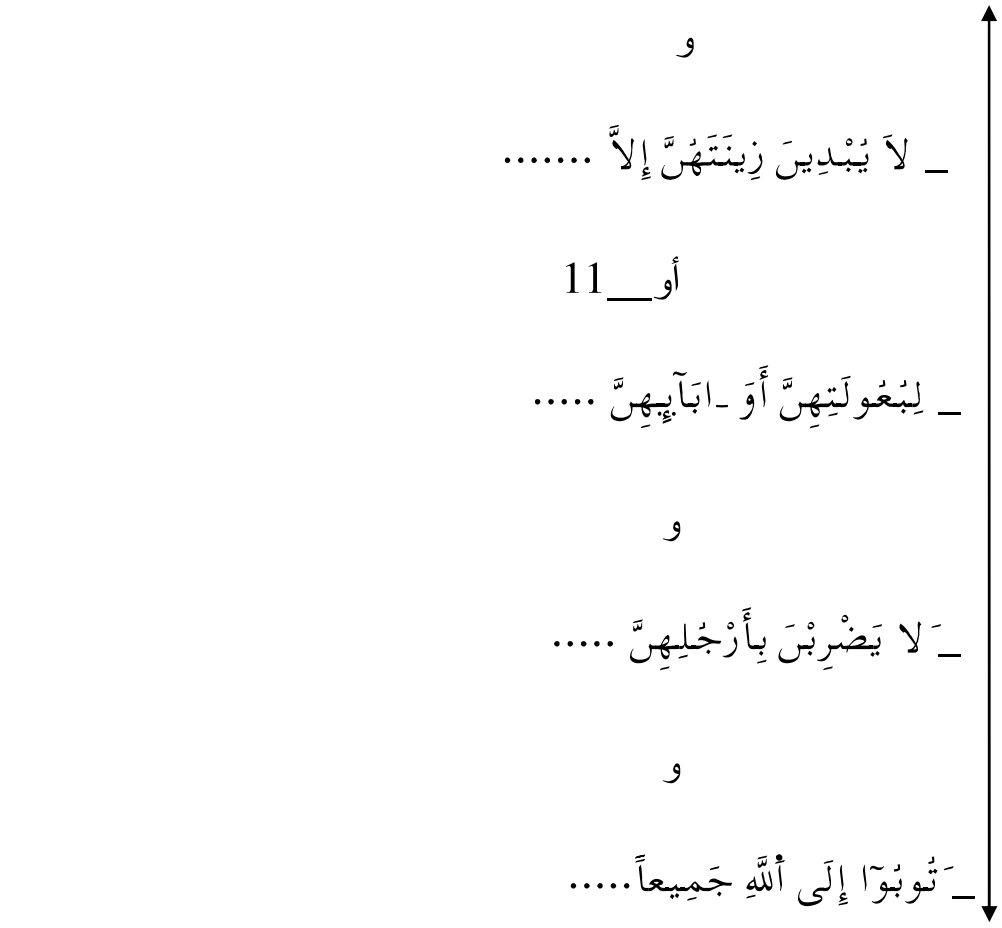

جاء تكرار (الواو) هنا في سلسلة من الأفعال الكلامية المخبرة عن توصيات الله عز وجلّ لعباده المؤمنين والمؤمنات متضافرة لخدمة نتيجة واحدة وهي : (الحفاظ على الأعراض وتجنب الوقوع في ما حرمه الله تعالى) ، ثمّ انتقل الخطاب في سياق بيان الأصناف التي يجوز للمرأة أن تكون أماهم بلا حجاب وعدّهم الله تعالى الأولى فالأولى بواسطة رابط حجاجي تمثّل في حرف" أو" ، العطف على الاستثناء "إلا" ، ثم أعقب الله الأوامر والنواهي الموجهة للمؤمنين والمؤمنات بأمر جميعهم بالتوبة إلى الله إيماء إلى أنّ فيما أمرواْ به ونهواْ عنه دفاعا لداع تدعو إليه الجملة البشرية من الاستحسان والشهوة ، فيصدر ذلك من الإنسان عن غفلة ثم يتغلغل هو فيه ، فأمرواْ بالتوبة ليحاسبواْ أنفسهم على ما يفلت منهم من ذلك اللمم المؤدي إلى ما هو أعظم [1] ، والجملة معطوفة على جملة "قل للمؤمنين" ووقع

[1] ـ ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ،214

التفات من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطاب الأمّة ، لأنّ هذا تذكير بواجب التوبة المقررة من قبل وليس استئناف تشريع ، ونبه بقوله "جميعا" على أن المخاطبين هم المؤمنون والمؤمنات وإن كان الخطاب ورد بضمير التذكير على التغليب وأن يؤمّلواْ الفلاح إن هم تابواْ وأنابواْ.[1]

المقطع الخامس: ما شرّعه الله جل وعلا لعباده المؤمنين من أمور النكاح الشرعي ، دفعا للشهوة وسكينة للنفس ، وسلوة للعبد ، وإعانة له على ترك ما حرّم الله وال ترغيب في النكاح الشرعي وذلك ابتداء من قوله تعالى: (وَأَنكِحُواْ ٱلأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ) إلى قوله تعالى: (وَلَقَدَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾).

1.5 البعد الحجاجي في تشريع النكاح:

قال تعالى: (وَأَنكِحُواْ ٱلأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِنْ يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتَ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلذِى ءَاتِيكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ انَ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدَ

[1] - ينظر :محمد الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص 214

ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾).

أردفت أوامر العفاف بالإرشاد إلى ما يعين عليه ويعف نفوس المؤمنين والمؤمنات ويغضّ من أبصارهم فأمر الأولياء بأن يزوجواْ أياماهم ، لأنّ ذلك أعف لهن وللرجال الذين يتزوجوهن ، وأمر السادة بتزويج عبيدهم وإمائهم وهذه وسيلة لإبطال البغاء ، وجملة إن يكونواْ فقراء إلى آخر الآيات استئناف بياني لأنّ عموم الأيامى والعبيد والإماء في صيغة الأمر ، وقد جاء لبيان إرادة العموم في الأحوال ، ووعد الله المتزوج من هؤلاء إن كان فقيرا أن يغنيه الله. [1]

2.5 التحليل التداولى الحجاجي للمقطع.

ـ المعنى الإجمالى :

ممّا لا شك فيه أنّ الزنا كان محرّما تحريما شديدا على المسلم من مبدإ ظهور الإسلام ، وكانت عقوبته فرضت في حدود السنة الأولى بعد الهجرة بنزول سورة النور، كما ذكرنا ذلك في سياق أسباب النزول للسّورة ، وقد جاء في حديث عن عائشة أمّ المؤمنين ؛ أنّ الإسلام هدم أنكحة الجاهلية الثلاثة وأبقى النكاح المعروف وإن كانت لم تعين ضبط زمان ذلك الهدم ، وفي هذه الآيات بيان لجواز النكاح الشرعي والحث عليه والتوصية به سادة وعبيدا ، وذيّلت هذه الأحكام والمواعظ بإثبات نفعها وجدواها لما اشتملت عليه مما ينفع الناس ويقيم عمود جماعاتهم ، ويميّز الحق من الباطل ، ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ فيعلم الناس طرق النظر الصائب والتفكير الصحيح ، وذلك تنبيه لما تستحقه من التدبّر فيها ولنعمة الله على الأمّة لإنزالها ليشكرواْ الله حق شكره ، ووصف هذه الآيات

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور مصدر، سابق ، ص215

المنزلة بثلاث صفات ، والمقصد من الأوصاف في هذين الموضعين هو: "الامتنان" ، فكان هذا يشبه رد العجز على الصدر فجملة "وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ " مستأنفة استئناف التذييل ، وقد خلّلت بمثل هذا التذييل مرتين قبل هذا مثل قوله تعالى في ابتداء السورة " وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ " ثم قوله " وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ " ثم قوله هنا " وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ " فكان كل واحد من هذه التذييلات زائدا على الذي قبله ، فالأوّل زائد بقوله يبين الله لكم الآيات لأنّه أفاد أن بيان الآيات لفائدة الأمة وما هنا زاد بقوله ومثلا من اللذين خلو من قبلكم وموعظة للمتقين ، فكانت كل زيادة من هاتين مقتضية العطف لما حصل من المغايرة بينها وبين أختها ، وتعتبر كل واحدة عطفا على نظيرتها ، فوصفت السورة كلّها بثلاث صفات ، ووصف كل ما كان من هذه السورة مشتملا على أحكام القذف والحدود وما يفضي إليها ، أو إلى مقاربها من أحوال المعاشرة بين الرجال والنساء بثلاث صفات فقوله هنا : " وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ " يطابق قوله في أول السورة: " وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ " وقوله: "وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ " ، يقابل قوله في أول السورة : " وَفَرَضۡنَٰهَا " وقوله : " وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ "يقابل قوله في أولها لعلكم تذكرون ، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن الآيات جمل القرءان لأنها لكمال بلاغتها وإعجازها المعاندين على أن يأتوا بمثلها كانت دلائل على أنّه كلام منزل من عند الله [1]. والخطاب في الآية للأولياء ، وقيل للأزواج والأول أرجح وفيه دليل على أن المرأة لا تنكح نفسها وقد خالف في ذلك أبو حنيفة ، ثم ذكر

[1]- ينظر : محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق، ص 229/228

الله بعد ذلك حال العاجزين على النكاح فأرشدهم لما هو أولى ، وأمرهم بالاستعفاف حتى يغنيهم الله من فضله[1] .

3.5 تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية .

أ_ الأفعال الكلامية الحجاجية لتشريع النكاح والحث عليه.

- ـ وَأَنكِحُواْ ٱلأَيَـٰمىٰ مِنكُمْ..... **قوة حرفية مباشرة:** الأمر.
- ـ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلذِينَ .....
- ـ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ..... **قوة حجاجية مستلزمة مقاميا** : الاستجابة والخضوع لأوامر الله .

ب_ بنية الأفعال الكلامية: اشتركت الأفعال الكلامية السابقة في فعل كلامي مباشر جاء على صيغة الأمر ، وفعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا يستشفّ انطلاقا من المعنى الصريح للفعل الكلامي ومن مقام التخاطب الذي يحكم أطراف الخطاب .

أمّا الفعل الكلامي المباشر تمثل في الأمر، وهو أمر الله لعباده المؤمنين بالنكاح الشرعي كما أمر كل من تعلق الأمر بهم بالنّكاح ، بأن يلازموا العفاف في مدّة انتظارهم تيسير النكاح لهم بأنفسهم أو بإذن أوليائهم ، والسين والتاء للمبالغة في الفعل لأنّ الأصل "وليعف" الذين لا يجدون نكاحا ووجه دلالته على المبالغة هو جعل طلب الفعل بمنزلة طلب السعي للجهد الأكبر في الاستعفاف ، ومعنى لا يجدون نكاحا أي ؛لا يجدون القدرة على

[1] ينظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مصدر سابق ، ص40/39

النكاح ففيه حذف مضاف وقيل النكاح هنا اسم ما هو سبب تحصيل النكاح كاللباس واللحاف والمراد هنا هو المهر الذي يبذل للمرأة.[1]

وإذا تمّ ربط الخطاب بسياقه الحجاجي ، فإنّ قصديّة المتكلّم لا تتوقف عند المعنى الصريح للفعل الكلامي ، بل تتعداه إلى معنى ضمني مستلزم يستنبط من مقام التواصل والتخاطب الذي يحيط بأطراف الخطاب ، وهذا المعنى الضمني يتمثّل في استجابة عباد الله المؤمنين لأوامر الله عز وجل ، والدليل على ذلك أن الله علّق بهم صفات الصلاح ، العبادة الإيمان والأمر الثاني : هو جريان هذا النكاح في هذه الأمّة حتى زماننا اليوم.

ج_ الروابط الحجاجية والسلّم الحجاجي .

لمّا تقدمت أوامر ونواهي في غضّ البصر وحفظ الفرج وإخفاء الزينة كان الموجب للطموح من الرجال إلى النساء ومن النساء إلى الرجال هو عدم الزواج غالبا ، لأنّ في تكلفة الزواج وما يجب على كل واحد من الزوجين ما يشغل أمر الله تعالى ب إنكاح الأيامى وهم الذين لا أزواج لهم من الصنفين حتّى يشتغل كل منهما بما يلزمه فلا يلتفت إلى غيره ، كما أنّ الظاهر في الأمر في قوله وأنكحواْ للوجوب وقد قال بعض العلماء أنها للندب ، ولمّا لم يخل عصر من الأعصار من وجود الأيامى [2] ، فقد أمر الله تعالى بالاستعفاف لمن لم يجد طولا أن ينكح المؤمنات ، من خلال سلسلة من الأفعال الكلامية المتفاوتة من حيث قوتّها الحجاجيّة ، ويمكن تمثيل هذا التفاوت على النحو التالي :

[1] - ينظر : الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص218
[2] - ينظر : محمد بن يوسف ، مصدر سابق ، ص 414

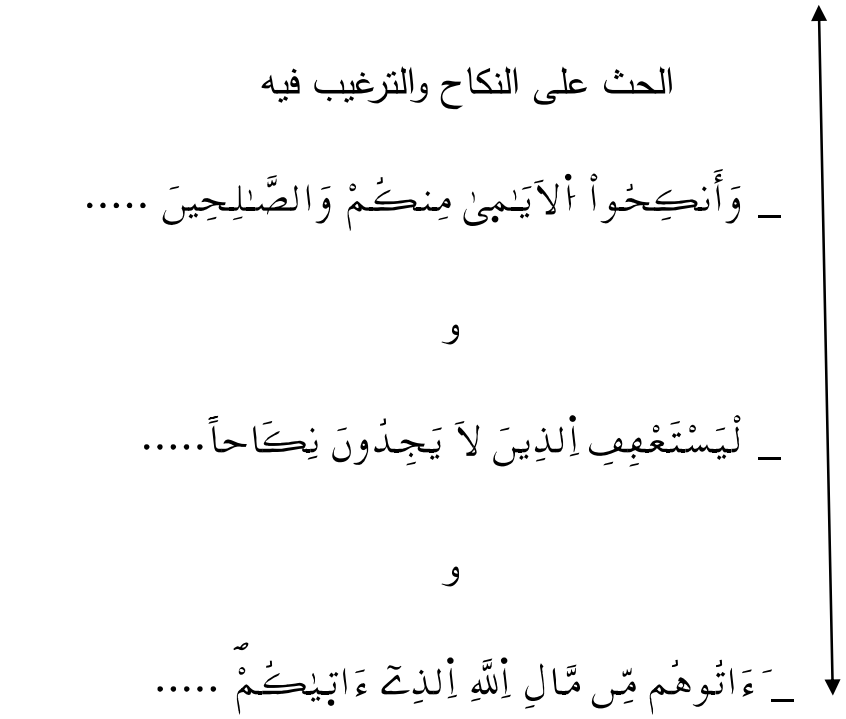

جاءت صيغة الأمر في قوله تعالى " وانكحواْ الأيامى منكم " مجملة تحتمل الوجوب والندب ، بحسب ما يعرض من حال المأمور بإنكاحهم ، فإن كانواْ مظنّة الوقوع في الدين أو الدنيا كان إنكاحهم واجبا ، وإن كانواْ غير ذلك فقد اختلف الفقهاء بين الاستحباب والوجوب، وجملة إن يكونواْ فقراء استئناف بياني لأن عموم الأيامى والعبيد والإماء في صيغة الأمر، ثم وعد الله المتزوج من هؤلاء إن كان فقيرا أن يغنيه الله ؛ وإغناؤه تيسير الغنى إليه إن كان حرا وتوسعة المال على مولاه إن كان عبدا ، حتّى لا يكون هناك عذر للولي ولا المولى في ردّ الخطبة في أيّ حال من الأحوال.[1]

[1]- ينظر : الطاهر بن عاشور، المصدر السابق ، ص217

د. أطراف العملية الحجاجية وسياقها الحجاجي:

المتكلم المحَاجِجُ في هذا الخطاب هو الرسول صلى الله عليه وسلم _ بوحي من الله تعالى_ أما المخاطَب المحاجَج فهم المؤمنون والمؤمنات _ أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم _ وقد جاء الخطاب في سياق الحث على النكاح والدعوة إليه .

المقطع السادس : بيان عظمة الله عزّ وجل وعلوه على خلقه وأنه المجازي عباده المؤمنين الذاكرين له كثيرا والمسبحين لجلاله. وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ ..... إلى قوله تعالى : ..... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾

1.6 التحليل التداولي الحجاجي للمقطع.

_ **المعنى الإجمالي:** أتبع الله تعالى منّة الهداية الخاصّة في أحكام خاصّة المفادة من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بالامتنان بأنّ الله مكون أصول الهداية العامة والمعارف الحق للناس كلّهم ، بإرسال رسوله بالهدى ودين الحق مع ما في هذا الامتنان من الإعلان بما في عظمة الله وبحمده وعموم علمه وقدرته ، والظاهر أن جملة " "الله نور السموات والأرض" معترضة بين الجملة التي قبلها وبين جملة مثل نوره كمشكاة ، وأن جملة "مثل نوره كمشكاة" ، بيان لجملة "ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات" , وبالتالي تكون جملة "الله نور السموات والأرض" تمهيدا لجملة "مثل نوره كمشكاة " ، ومناسبة موقع جملة مثل نوره كمشكاة بين جملة " ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات" ، هو كون آيات القرءان "نور وسراج مبين[1] وأما قوله: "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نور" فالظاهر أن هذه الجملة بيان لجملة "ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات"، إذا كان ينطوي في معنى آيات ووصفها بمبينات ممّا يستشرف إليه السامع من بيان لما هي الآيات وما هو تبيينها, فالجملة مستأنفة استئنافا

[1] ـ ينظر :محمد الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص 231

بيانيا ووقعت جملة "الله نور السموات والأرض" معترضة بين هذه الجملة والتي قبلها تمهيدا لعظمة هذا النور الممثل بالمشكاة ، وأما قوله من شجرة يومئ إلى الحاجة إلى اجتهاد علماء الدين في استخراج إرشاده على مرور الأزمنة لأن استخراج الزيت من ثمر الشجرة يتوقف على اعتصار الثمرة وهو الاستنباط ، أما قوله تعالى : "يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم" ، فهو يدل على أن هذه الجمل الثلاثة معترضة أو تذييل للتمثيل ، والمعنى دفع التعجب من عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزل الله وهو القرءان والإسلام ، فإن الله إذا لم يشأ هدي أحد من خلقه جبله على العناد والكفر ، وأن الله يضرب الأمثال للناس مرجوا منهم التذكر بها ، فمنهم من يعتبر بها فيهتدي ومنهم من يعرض فيستمر على ضلاله وجملة " والله بكل شيء عليم" ، تذيل لمضمون الجملتين قبلها أي لا يعزب عن علمه شيء ، ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ومن هو مصرّ على غيّه وهذا تعريض بالوعد للأوّلين والوعيد للآخرين[1].

2.6 تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية .

أ. الأفعال الكلامية الحجاجية في بيان عظمة الله .

_ يمكن توضيحها في الشكل الموالى :

- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِۖ ..... ﴾ **قوة حرفية مباشرة** :الإخبار
- ﴿فِي بُيُوتٍ آَذِنَ ٱللَّهُ .....﴾
- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ ..... ﴾ **قوة حجاجية مستلزمة مقاميا** : التحضيض على عبادة الله وتوحيده .

[1] ـ ينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص 244

ب_ بنية الأفعال الكلامية.

لمّا ذكر الله جلّ وعلا رحمته ونوره وعظمته ، ذكر المسبّحين وأنّهم لمراقبتهم أمر الله تعالى وانشغالهم به وطلبهم رضاه لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر لله ، ويحتمل قوله "لا تلههم تجارة ولا بيع " وجهين أحدها : أنّه لا تجارة ولا بيع فيلههم عن ذكر الله كقوله: "لا حب لا يهتدى بمنارة" أي لا منارة له فيهتدى به ، والثاني أنهم ذو تجارة وبيع لكن لا يشغلهم ذلك عمّا فرض عليهم والظاهر مغاير التجارة والبيع ولذلك عطف فاحتمل أن تكون تجارة من إطلاق العام ويراد به الخاص [1] ، اشتركت الأفعال الكلامية السابقة كلّها في فعل كلامي مباشر ، جاء على صيغة الإخبار وفعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا يستشف انطلاقا من المعنى الصريح للفعل الكلامي ومن مقام التخاطب الذي يحكم أطراف الخطاب .

أمّا الفعل الكلامي المباشر تمثّل في الإخبار عن عظمة الله وقوته ، وأنّه نور السموات والأرض وأنه الهادي لمن يشاء إلى صراطه المستقيم .

وإذا تمّ ربط الخطاب بسياقه الحجاجي فإنّ قصدية المتكلم لا تتوقف عند المعنى الصريح للفعل الكلامي ، بل يتعداه إلى معنى ضمني مستلزم يستنبط من مقام التواصل والتخاطب الذي يحيط بطرفي الخطاب , رسول الله صلى الله عليه وسلّم (بوحي من الله) ، والمجتمع العربي في زمانه ، وهنا شمل الخطاب المؤمنين والكفار، وهذا المعنى الضمني يتمثّل في الحثّ والتحضيض على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، لأنّه من أسباب الإيمان بالله والخضوع له ، معرفة أسمائه وصفاته وقدرته وسلطانه .

المقطع السابع: التذكير بقدرة الله وسلطانه على جميع خلقه ، واعتراف جميع مخلوقاته بوحدانيته ، وتسبيحه من ملائكة في السماء ومخلوقات متنوعة في الأرض ، وذلك من قوله

[1] ينظر : محمد بن يوسف ، مصدر سابق ، ص 422

تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ) إلى قوله تعالى : (لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾).

1.7 التحليل التداولى الحجاجي للمقطع .

ـ المعنى الإجمالى:

ضرب الله مثالا في هذه الآيات ، والمقصود من هذا التمثيل المبالغة في وصف جهالة الكفار، وذلك إنّما يحصل إذا لم يوجد الرؤية البتّة مع هذه الظلمات [1] ، كما أعقب تمثيل ضلال أهل الضلالة ، وكيف حرمهم الله الهدى في قوله : (وَالذِين كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) إلى قوله : (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ)، بطلب النظر والاعتبار كيف هدى الله كثيرا من أهل السموات إلى تنزيه الله تعالى المقتضي الإيمان به وحده ، وبما ألهم الطير إلى أصواتها المعربة عن بهجتها بنعمة وجودها ورزقها الناشئين عن إمداد الله إيّاها بهما ، فكانت أصواتها دلائل حال على تسبيح الله وتنزيهه والجملة استئناف ابتدائي ومناسبته ما علمت، وجملة (قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ) استئناف ثان وهو من تمام العبرة ؛إذ أودع الله في جميع أولئك ما به ملازمتهم لما فطرواْ عليه من تعظيم الله وتنزيهه ، والخطاب في قوله : (ألم تر) للنبيّ صلى الله عليه وسلّم، والاستفهام مستعمل كناية عن التعجب من حال المشركين الذين هم من أصحاب العقول ومع ذلك قد حرمواْ الهدى لما لم يجعله الله فيهم [2] ، كما أنّه جعل الهدى في العجماوات حيث جبلها على إدراك نعمة الوجود والرزق ، كما أنّ تقديم المعلومين جاء للاختصاص ، وذلك أنّ التصرف في العوالم لله لا لغيره ، ولذلك جاءت الآية التي بعدها

[1] ـ فخر الدين الرازي ، مصدر سابق ، ص9
[2] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص258

للدلالة على أحوال الموجودات لتفرد الله تعالى بالخلق حيث أعقبه تعالى بقوله : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَاماً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ .....) وهنا دلالة على إعطاء الهدى في قوانين الإلهام في العجماوات بالدلالة على خلق الخصائص في الجماد بحيث تسير على السير الذي قدّره الله لها ، وهي بذلك أهدى من فريق الكافرين الذين لهم عقول وحواس ولا يهتدون بها إلى معرفة الله تعالى ، والنظر في أدّلتها ، وفي ذلك دلالة على عظم القدرة وسعة العلم ووحدانية التصرف.

2.7 تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية .

_ الأفعال الكلامية الحجاجية في الدلالة على قدرة الله وسلطانه على جميع خلقه، واعتراف جميع مخلوقاته بوحدانيته:

اَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِے ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ	**قوة حرفية مباشرة :**
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِے سَحَاباً	**الإخبار**
لَّقَدَ اَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ	**قوة حجاجية مستلزمة**

مقاميا: كفران وجحود بعض النّاس وحدانية الله .

اشتركت الأفعال الكلامية في فعل كلامي مباشر جاء على صيغة الإخبار ، وفعل كلامي غير مباشر، يستشّف مقاميا انطلاقا من المعنى الصريح للفعل الكلامي ومن مقام التخاطب الذي يحكم أطراف الخطاب.

الفعل الكلامي المباشر فقد تمثل في الإخبار والإقرار عن وحدانية الله تعالى، ولذلك جاء الخطاب في قوله تعالى " ألم تر" للنبي صلى الله عليه وسلم ، والاستفهام هنا للتعجيب من حال فريق من المشركين الذين هم من أصحاب العقول ومع ذلك لم يشأ الله أن يجعلهم من عباده الموحدين.[1]

وإذا تمّ ربط الخطاب بسياقه الحجاجي ، فإنّ قصدية المتّكلم تتجاوز المعنى الصريح للفعل الكلامي إلى معنى ضمني مستلزم يستنبط من مقام التواصل والتخاطب الذي يحيط بطرفي الخطاب ، وهذا المعنى الضمني يتمثل في جحود كثير من البشر وحدانية الله وكفرانهم بنعمه وعدم اعترافهم بفضله عليهم .

المقطع الثامن : بيان حال المنافقين ، وما كانواْ عليه من التلون والدوران والكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه . وذلك بداية من قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا) إلى قوله تعالي: (لاَ تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلاَرْضِ وَمَأْوِيهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ).

_ المتكلم (المُحاجِج): منافقوا قريش.

_ المخاطب (المحاجَج) : الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

_ السياق الحجاجي : ذكر تلون ودوران المنافقين وعدم تحكيمهم الله ورسوله ، خلاف ما كان عليه الصحابة المؤمنون الذين يحكمون الله في جميع شؤونهم.

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص258

1.8 التحليل التداولى الحجاجي للمقطع:

ـ المعنى الإجمالي:

في هذه الآية إشارة إلى المنافقين عامة ثمّ إلى فريق منهم أظهرواْ عدم الرضا ، بحكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكلا الفريقين موسوم بالنفاق ، إلاّ أنّ أحدهم استمرّ على النفاق والموارية وفريقا رجعواْ إلى الكفر بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم علنا ، وفي قوله: "يقولون" ، إيماء إلى أن حضّهم من الإيمان مجرد القول دون الاعتقاد ، وعبّر بالمضارع لإفادة تجدد ذلك منهم واستمرارهم عليه ، لمّا فيه من تكرار الكذب ونحوه ومفعول "أطعنا" محذوف دل عليه ما قبله أي أطعنا الله ورسوله ، والإشارة في قوله "وما أولئك" إلى ضمير يقولون أي يقولون آمنا وهم كاذبون في قلوبهم ، وإنّما يظهر كفرهم عندما تحلّ بهم النوازل والخصومات ، فلا يطمئنّون بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمّا الضمير في قوله "وإذا دعواْ" عائد إلى معاد ضمير يقولون ، وإسناد فعل "دعواْ" إلى جميعهم وإن كان المعرضون فريقا منهم لا جميعهم ، للإشارة إلى أنّهم سواء في التهيؤ للإعراض ولكنّهم لا يظهرونه إلا عندما تحلّ بهم النوازل .[1] وقد أوردنا قصّة بشر المنافق مع اليهودي لمّا تحاكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحكم رسول الله صلى الله عيه وسلّم لليهودي ، فلم يرض بشر بالحكم ودعاه إلى الحكم عند كعب بن الأشرف ، فتساوقا إلى عمر بن الخطاب فقصا عليه القضية فلمّا علم عمر أنّ بشر ا لم يرض بحكم النبيّ قال لهما : مكانكما حتى آتيكما ودخل بيته وأخرج سيفه وضرب بشرا بالسيف فقتله فلقبه النبي حينئذ بالفاروق [2]، وجاءت "إذا" المفاجأة في جواب "إذا" الشرطية لإفادة مبادرتهم بالإعراض دون تريث لأنّهم قد أيقنواْ من قبل بعدالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورغم ذلك لم يترددواْ في الإعراض ، ولمّا كان هذا الشأن عجيبا استوقف عليه بالجملة ذات الإستفهامات المستعملة في التنبيه

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور، المصدر سابق ، ص269
[2] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور ، المصدر نفسه ،ص269

عن أخلاقهم الذميمة وما انطوت عليه سرائرهم من الباطل ، واتبع بعض الإستفهامات بعضا بحرف " أم" المنقطعة والتي هي هنا للإضراب الانتقالي ، لأنّ الجمل الاستفهامية إذا عطفت لم تكن للتعيين كعطف المفردات ، أمّا الانتقال هنا فهو للتدّرج في عدّ أخلاقهم وأمّا قوله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُومِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَّقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُّطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾) ، فهذه الآية استئناف بياني لأنّ الإخبار عن اللذين يعرضون عندما يدعون إلى الحكومة عند الله ورسوله بأنّهم ليسو مؤمنين ولو تظاهرواْ بالإيمان.[1]

_ الفعل الكلامي الكامل هو : النفاق والأفعال الفرعية الداعمة له.

في هذا المقطع سلسلة من الأفعال الكلامية الداعمة للفعل الكلامي الرئيسي (النفاق)، وهذه الأفعال الداعمة عبرت عن بيان حقيقة المنافقين وإظهار صفاتهم القبيحة التي يضمرونها وتتمثّل سلسلة الأفعال الكلامية هذه في:

_ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُومِنِينَ

_ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ

_ وَإِنْ يَّكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَاتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص273

ـ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ اَمِ إِرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَّحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ .

2.8 تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية.

أ_ الأفعال الكلامية الحجاجية لإظهار حقيقة المنافقين .

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ..... — **قوة حرفية مباشرة** :الإخبار

وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ .....

وَإِنْ يَّكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَاتُوٓاْ إِلَيْهِ .....

أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ اَمِ إِرْتَابُوٓاْ ..... — **قوة حجاجية مستلزمة مقاميا :**

الإعراض عن تحكيم الله ورسوله

ب_ بنية الأفعال الكلامية.

اشتركت الأفعال الكلامية السابقة كلها في فعل كلامي مباشر جاء على صيغة الإخبار، وفعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا يستشف انطلاقا من المعنى الصريح للفعل الكلامي ومن مقام التخاطب الذي يحكم أطراف الخطاب.

الفعل الكلامي المباشر تمثّل في الإخبار عن حال المنافقين الذين يظنّون بالله ورسوله غير الحق ظنّ الجاهلية الأولى ، فهم يحسبون أنّ الله يحيف عليهم ورسوله ، ومعنى ذلك أنّهم يحسبون أنّ ما شرعه الإسلام حيفا يسلبهم حقوقهم ، وما ذلك إلاّ لأنّهم لا يؤمنون بشريعة الإسلام ، وأنّها منزلة من عند الله وبهذا المعنى فهم لا يصدّقون أنّ محمدا

صلى الله عليه وسلّم مرسل من عند الله . وإذا تم ربط الخطاب بسياقه الحجاجي فإنّ قصدية المتكلّم لا تتوقف عند المعنى الصريح للفعل الكلامي ، بل تتعداه إلى معنى ضمني مستلزم يستنبط من مقام التواصل والتخاطب الذي يحيط بطرفي الخطاب ، وهذا المعنى الضمني يتمثّل في الإعراض عن تحكيم شرع الله ورسوله وعدم الإيمان برسالة خاتم الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ج_ الروابط الحجاجية والسلّم الحجاجي:

أعرض المنافقون عن حكم الله ورسوله ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنّهم جعلواْ شريعة الله لعبة في أيديهم , إذ لم يقدّروها حقّ قدرها فهم إذا علمواْ أنّ لهم الحقّ أتواْ إلى رسول الله ليحكموه بينهم ، وإن كان الحق عليهم هم تراهم يفزعون إلى غيره ، ولذلك"لمّا ذكر دلائل التوحيد أتبعه بذم قوم اعترفواْ بالله بألسنتهم ولكنّهم لم يقبلوه بقلوبهم" .[1] فهم بهذه النظرة الفاسدة لهم يطعنون في الحكم والحاكم ، وما ذلك إلا إنكارا منهم بحكم الله وشرعه ولو موهواْ على المسلمين أنّ إعراضهم ليس كفرا بالله ، وإنّما لأمور دنيوية كما قال بشر المنافق يبغضني رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ودلّت الآيات على نفاقهم من خلال سلسلة من الأفعال الكلامية المتفاوتة من حيث قوتها الحجاجية.

ويمكن تمثيل هذا التفاوت على النحو التالي:

[1] - فخر الدين الرازي ، مصدر سابق ، ص 20

دلائل إعراض المنافقين عن حكم الله .

ـ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم .....

و

ـ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ

و

ـ وَإِنْ يَّكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَاتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ

أ

ـ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ اَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَّحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ .....

سلّم حجاجي ـ س .ح ـ

في هذا المقطع مجموعة من الحجج المتسلسلة حسب شدّة تأثيرها وقوتها من الأقل إلى الأكثر إقناعا ، فابتدأ الله جلّ وعلا في بيان حال إيمانهم ، وأنّه باللّسان فقط إذ إنّهم يقولون بألسنتهم ما لم يصدقوه بأفعالهم ويعقدواْ عليه قلوبهم ، حيث إنّهم "يقولون آمنّا بالله وبالرسول وأطعنا ثمّ يتولى فريق منهم وما أولئك بالمومنين" ، ثمّ جاء الله بما يدلّ على بطلان هذا القول وبيان كذبه ، وذلك لو أنّهم آمنواْ حقا كما يزعمون لرضخواْ لأوامر الله كما يفعل المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممّا يدل على بطلان ادّعائهم الإيمان هو ما ذكره الله تعالى "وإذا دعواْ إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون" ؛ فهم لا يستجيبون لشرع الله ورسوله إلا إذا أيقنواْ أن الحق لهم وأنّهم لو حكّمواْ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يكون الحكم لمصلحتهم فإنّهم يأتوه مذعنين خاضعين "وإن

يكن لهم الحق يأتواْ إليه مذعنين" ، فإن تعجب فعجب من فعل هؤلاء المنافقين مرضى القلوب الذين يستهزؤون بأحكام الله وشريعته.

انتقل المتكلّم في عرض حججه من أدناها إلى أقواها حجة مستعينا برابط "الواو" ، ثمّ يختمها بجملة من الاستفهامات ، ألا يعلم هؤلاء أن شريعة الله كلها خير وأوامره كلها نافذة ، فالواو هنا لا تنحصر وضيفتها في عطف جملة على أخرى ، بل فضلا على ذلك تؤدّي دورا حجاجيا ، لأّنها تربط حجة بحجة أكثر من سابقتها وهذا ما يزيد من شدة التأثير في المخاطب.

أمّا الفعل الكلامي الأخير فقد جاء عبارة عن جملة من الاستفهامات ، وأتبع بعضها بعضا بحرف "أم" التي جاءت هنا للإضراب والانتقال ، حيث تدرّج في عدّ أخلاقهم والمعنى أنّه إن سأل سائل عن اتّصافهم بخلق من هذه المذكورات ، علم المسؤول أنّهم متصفون به فكان الاستفهام المكرر ثلاث مرات مستعملا في التنبيه على شناعة هذه الأوصاف ، وأتي بالاستفهام هنا بالجملة الفعلية المفيدة للحدوث والتجدد للنفاق في قلوبهم فيكون بذلك قد أظهر الحقيقة على أصلها ولم يدع مجالا للشّك في نفاق هؤلاء.[1]

وعليه فإنّه يمكننا القول : إنّ الفعل الأخير هو أقوى أفعال الكلام حجاجا كونه مدعما بجملة من المؤكدات المعنوية واللفظية مثل أداة الاستفهام وتكرارها وأداة الإضراب زد على ذلك الفعل القولي ، كجملة متكاملة لتدلّ على شدّة سفههم وضلالهم وتماديهم في النفاق والظلم.

المقطع التاسع: معالجة مظهر من مظاهر الوقوع في الزنا ألا وهو تشريع الاستئذان وذلك بداية من قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـٔذِنكُمُ ٱلذِينَ مَلَكَتَ

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص 271

آيْمَـٰنُكُمْ) إلى قوله تعالى: (فَإِذَا ٱسْتَـٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

1.9 التحليل التداولى الحجاجى للمقطع.

ـ المعنى الإجمالى:

وردت هذه الآيات على صيغة استئناف انتقالي إلى غرض من أحكام المخالطة والمعاشرة ؛ وهو العودة إلى الغرض التي ابتدأت به السورة وقطع عند قوله " وموعظة للمتقين " ، وقد ذكر في هذه الآية شرع الاستئذان لأتباع العائلة ومن هو شديد الاختلاط إذا أراد دخول البيت وهو من متمّمات ما ذكر من قوله تعالى : " يا أيّها الذين ءامنو لا تدخلواْ بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسواْ وتسلمواْ على أهلها" ، وهو بمفهوم الزمان يقتضي تخصيص عموم قوله "لا تدخلواْ بيوتا غير بيوتكم" لأنّ ذلك عام في الأعيان والأوقات فكان قوله : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـٔذِنكُمُ ٱلذِينَ مَلَكَتَ آيْمَـٰنُكُمْ وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ) "إلى قوله : (وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ) تشريعا لاستئذانهم في هذه الأوقات ، وذلك لأنّ هذه الأوقات يتجرد فيها أهل البيت من ثيابهم وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى " وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ " ، ولأنّه من القبيح أن يرى مماليكهم وأطفالهم عوراتهم ، لأنّ ذلك منضر يخجل منه المملوك ، وينطبع في نفس الطفل لأنّه لم يعتد رؤيته ، وحتّى ينشأ الأطفال على ستر العورة ليكون ذلك كالسجيّة فيهم إذا كبرواْ، ووجه الخطاب أنّه موجه إلى المؤمنين ، وصيغة الأمر موجهة إلى المماليك والصبيان على معنى لتأمرواْ الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغواْ الحلم منكم أن يستأذنواْ عليكم [1] ، وأمّا قوله : "الذين ملكت أيمانكم" فإنّه يشمل الذكور والإناث لمماليكهم الذكور والإناث وقوله : "ليس

[1]- ينظر : الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، ص 292

عليكم ولا عليهم جناح " تصريح بمفهوم الظروف في قوله " من قبل صلاة الفجر" ، وما عطف عليه أي بعد تلك الأوقات المحددة فصلاة الفجر حدّ معلوم ، وحالة وضع الثياب من الظهيرة تحديد بالعرف ومن بعد صلاة العشاء ، وقوله : "طوّافون عليكم" خبر مبتدأ محذوف تقديره هم طوافون يعود على اللذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغواْ الحلم ، والكلام استئناف بياني معناه إنّما رفع الجناح عليهم وعليكم في الدخول بدون استئذان بعد تلك الأوقات الثلاثة لأنّهنّ طوافون عليكم ، ولو وجب عليهم أن يستأذنواْ لكان ذلك حرج عليهم وعليكم ، وجملة "والله عليم حكيم"معترضة ، والمعنى يبيّن الله لكم الآيات بيانا كاملا ، وهو عليم حكيم فبيانه بالغ غاية الكمال لا محالة وأمّا قوله : "ليس على الأعمى حرج ..... أو أشتاتا " ، فقد جاءت مناسبة عطف الرخص على رخصة الأعمى على تقدير أنّه منفصل عنه، وذلك لتعلّق كليهما بالاستئذان والدخول للبيوت ، سواء أكان لغرض الطعام فيها أو كان للزيارة ونحوها لاشتراك الكل في رفع الحرج ، فاقتران الجميع في الحكم هو رخصة للكل في الأكل فأذن الله للأعمى والأعرج والمرض أن يدخلواْ البيوت للأكل ، لأنّهم في حاجة لشبع بطونهم، ولمّا كان من أعمال المنافقين أن يحضرواْ مجامع رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثمّ يتسللواْ منها سآمة من سماع كلام لا يهتمون به ، فقد أعقب الله ذكر الاستئذان للخروج كما شأنه عند الدخول ، وأنصف الله المؤمنين الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالقصر المستفاد من " إنّما" قصر موصوف على صفة ، والتعريف في المؤمنون تعريف الجنس ، أي أنّ جنس المؤمنين الذين عرفواْ بوصف الإيمان هم الذين آمنواْ بالله ورسوله ولم يذهبواْ حتى يستأذنوه[1] .

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص 297/ 300

2.9 تحليل الأفعال الكلامية وقوّتها الحجاجية.

أ_ الأفعال الكلامية الحجاجية في تشريع الاستئذان.

_ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـٔذِنكُمُ..... **قوة حرفية مباشرة** : الأمر

_ وَإِذَا بَلَغَ ٱلاَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـٔذِنُواْ .....

_ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلِتِى لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً ...

_ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ .... **قوة حجاجية مستلزمة مقاميا**

: استجابة الصحابة لأوامر الله

ب_ بنية الأفعال الكلامية.

اشتركت الأفعال الكلامية السابقة كلها في فعل كلامي مباشر جاء على صيغة الأمر، وفعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا يستشف انطلاقا من المعنى الصريح للفعل الكلامي ومن مقام التخاطب الذي يحكم أطراف الخطاب.

الفعل الكلامي المباشر فقد تمثّل في الأمر بقوانين وأحكام شرعية تحفظ للمسلمين أعراضهم وتمنع الفاحشة في المجتمع ، من خلال أمر الأحرار مماليكهم والأطفال الصغار الاستئذان عليهم قبل الدخول في فترة وضع الثياب أي؛ "نزعها".

وإذا تمّ ربط الخطاب بسياقه الخارجي ، فإنّ قصدية المتكلّم لا تتوقف عند المعنى الصريح للفعل الكلامي بل تتعداه إلى معنى ضمني مستلزم يستنبط من مقام التخاطب الذي يحيط بطرفي الخطاب ، وهذا المعنى الضمني يتمثّل في استجابة الصحابة لأوامر الله تعالى

ورسوله والخضوع لها لتحفظ لعباد الله أعراضهم ويسلم لهم دينهم ، ولذلك وصفهم الله بالإيمان وأولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

المقطع العاشر: من دلالة إعجاز القرآن وأنّه من عند الله تكامل حروفه وسياقاته ولو كان من عند غير الله لوجدواْ فيه اختلافا كثيرا ، وإنّ سورة بدأها المولى عزّ وجلّ بقوله: (سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ) ، لا يناسب نهايتها إلا ما قاله الله تبارك وتعالى في خاتمتها : (أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِۗ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾).

1.10 التحليل التداولي الحجاجي للمقطع:

ـ المعنى الإجمالى:

هذا المقطع تذييل لما تقدّم في السورة كلها وافتتاحه بحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام وتنبيه الناس ليعواْ ما يرد بعد حرف التنبيه ، وهو أنّ الله مالك ما في السموات والأرض فهو يجازي عباده بما يستحقون ، وهو عالم بما يفعلون ، ومعنى ما أنتم عليه , أي الأحوال الملابسين لها من خير أو شر ، فحرف الاستعلاء مستعار للتمكين ، وذكرهم بالمعاد إذ كان المشركون والمنافقون منكرينه ، ثم ينبئهم بما علمواْ ليجازيهم بأعمالهم ، والله بكل شيء عليم شاملة عامة لكل ما تقدّم في السورة ، فينتبه المؤمن ويعمل لما يرضى الله ويعلم الكافر ألا منجى من الله إلا إليه.[1]

[1] ـ ينظر : الطاهر بن عاشور، مصدر سابق ، ص 112/111

خاتمة:

تعتبر التداولية ميدانا لغويا مكملا للدّراسات للسانيات البنيوية ، من خلال محاولاتها فهم الاستعمال اللغوي في سياقاتها المختلفة ، وعلاقاتها بمستعمليها ، مستعينة في ذلك بالعناصر اللغوية المستعملة في إعطاء القوة الإنجازية ، وتعتبر الأفعال الكلامية المحور الأساسي الذي تعتمد عليه التداولية في دراستها.

لقد عرف العرب قديما نظرية الأفعال الكلامية من خلال نظرية الخبر والإنشاء وما بينهما من مجالات متداخلة ، واهتم بدراسة هذا الجانب علماء اللغة والبلاغة والنحو، وعرف أكثر عند الأصوليين والفقهاء والمفسرين عند دراستهم للنصوص القرآنية ، حيث إنّ الكثير من هؤلاء الدارسين توسعواْ في تعليل الوظائف التداولية ومصوّغاتها ، وقد خلصنا في هذا البحث إلى جملة من النتائج منها:

_ التداولية مصطلح متشعب الأطراف لا تختّص بمجال علمي محدد.

_ تعنى التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال ، مع مراعاتها للمعنى الذي يفرضه السياق.

_ تقع التداولية في مفترق طرق ، حيث تعرّض لها الكثير من أهل المذاهب والتخصصات (علم اللغة الاجتماعي ، علم اللغة النفسي ، البلاغة .....).

_ للمنهج التداولي آلياته التي تمكنه من تحليل فهم الخطاب مهما كان نوعه.

_ ترتكز التداولية على جملة من المفاهيم: الافتراض المسبق ، متضمنات القول ، الاستلزام الحواري ، نظرية الملاءمة ، الأفعال الكلامية ، الحجاج.

_ الخطاب عند طه عبد الرحمان يستند إلى مبدأين هما: الادعاء والاعتراض.

_ تقنيات الحجاج تتجسد عند كل من "أوستين" و "سيرل" في الأفعال الكلامية ، وقوتها الإنجازية.

_ من مميزات الخطاب القرآني تعدد وجوه الخطاب ، وهذا من دلائل إعجازه.

_ الصيغة اللغوية الواحدة قد ينتج عنها عدّة درجات من المعنى:

أ) المعنى المباشر: (معنى الصيغة).
ب) معنى المعنى: (القوة الإنجازية غير المباشرة).
ت) معنى معنى المعنى: (وهو قوّة إنجازية مستلزمة).

_ عدّت صيغ الكلام الحقيقية سواء أكانت أمرا أم نهيا أم استفهام صيغا أصلية حقيقية (أفعال كلامية حقيقية) ، وتتفرع عنها صيغ أسلوبية من دلالات ومعان تخرج على مقتضى دلالاتها الظاهرة إلى دلالات وأغراض أخرى.

_ تقسيم العرب للكلام من حيث هو خبر وإنشاء ، يدل على سبق العرب للتحليل التداولي ولم لم يصطلحواْ على اسمه تداوليّة.

_ كل قول في الأصل هو فعل يتحقق في الواقع.

_ كلّ فعل متضمن في قول.

بعد استثمار التقنيات الحجاجية في ضوء المفاهيم التداولية وتطبيقها على مدونة البحث خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

_ إستراتجيّة الحجاج الواردة في (سورة النور) ، تعتمد على الأوامر والنواهي في تقرير الأحكام.

_ أغلب الأفعال الكلامية الحجاجية الواردة في سورة النور، أفعال كلامية مباشرة ؛ فالأمر جاء دلالة على وجوب ما يأتي به العبد مع الله أو الناس ، والنهي جاء للتحذير من القذف أو الزنا أو صحبة المنافقين أو الركون إليهم.

_ تنوع واختلاف صور الحجاج الواردة في السورة ، بين أمر ونهي وترهيب وترغيب كان بحسب سياق التخاطب وطبيعة متلقي الخطاب.

_ نظمت سورة النور وفقا لمجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة ، المستلزمة في أغلبيتها.

_ سورة النور جاءت ردّا على من اتّهم عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، وتقريرا للأحكام الشرعية التي أوجبها الله على عباده.

_ إنّ السياق القرآني وحده القادر على تحديد المعنى وضبطه حتى لا يترك مجالا لتأويلات خاطئة.

_ الخطاب القرآني هو خطاب من أعلى (الله جلّ وعلا) ، إلى أدنى (البشر) ، وهو ملموس في سورة النور من خلال دلالات أفعال الأمر والنهي.

_ الاختلاف الوظيفي للروابط الحجاجية ، من خلال ربط حجة بحجة أقوى من سابقتها سواء أكان ذلك في سياق التحذير أم كان في سياق التقرير.

_ الخطاب القرآني لا يوجه إلى المخاطب الحاضر، وإنما يتعدّاه إلى مخاطبين آخرين خارج السّياق التخاطبي.

هذا وما كان من توفيق في إعداد هذا البحث فمن الله وحده ، وما كان من شكّ أو ريب أو سهو أو نسيان وهذا ولا شك وارد فمن أنفسنا والشيطان ، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

1. أحمد المتوكل: اللسانيات الوضعية، مدخل نظري منشورات عكاظ ، الرباط المغرب 1989.
2. إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ،دن جدارا للكتاب العالمي عمان الأردن ، دط عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2008.
3. آن روبول – جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوس – محمد الشيباني – ، مراجعة لطيف زيتوني ، دن دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1 2003.

_ القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلر ، آن ريبول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب ، مراجعة خالد ميلاد ، دن سيناترا.

4. باديس لهويمل: مضاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، د ط ، 2014.
5. بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية ، دن شمس للنشر والتوزيع ، ط1.
6. جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري ، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب الرياض المملكة العربية السعودية ، ط1 2003 الجزء6.

7. جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرءان ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية، دن هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط1 القاهرة 2001.
8. جميل حمداوي: التداوليات وتحليل الخطاب.
9. حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي.
10. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: أسباب نزول القرءان ، تح كمال بسيوني زغلول ، دن دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط1.
11. خلود العموش: الخطاب القرآني في سورة البقرة ، دن جدارا للكتاب العالمي ، ط1 2008.
12. خليفة بوجادي: التفكير التداولي عند العرب ، مصادره ومجالاته.
13. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات ، دط ،دار القصبة للنشر الجزائر.
14. سامية بن يامنة: الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية ، جامعة مستغانم، الجزائر.
15. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي.
ـ انفتاح النص الروائي.
16. سيف الدين أبو حسن الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ، ط1 1981 دار الفكر. بيروت.
17. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص.
18. طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين.

19. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ،د ن بيروت لبنان ط 2000

_ تحديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي المغرب ، ط1 1994

20. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب.

21. على عزّت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، دار نوبار للطباعة القاهرة ط1 1997.

22. عياشي الدراوي: الاستلزام الحواري في التداول الحواري (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلي وضع القوانين الضابطة لها ، د ن الأمان الرباط ،ط1 2011.

23. فان دايك: علم النص، ترجمة وتعليق سعيد بحيري ، دن القاهرة ط1 2001.

24. فرناند هالين: التداولية ، الآداب العالمية 67 ، ت زياد عز الدين العوف.

25. فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علواش، مركز الإنماء القومي الرباط 1986.

26. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة صابر الجياشة، دن دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط1 2007.

27. ابن كثير: تفسير القرءان العظيم ، دار مصر للطباعة ، الجزء1.

28. محمد الأخضر الصبيحي: المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراء دولة ، إشراف يمينة بن مالك ، جامعة قسنطينة،2005.2004.

29. محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر: دن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 الجزء 23 .

30. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دن الدار التونسية للنشر تونس 1984 ، المجلد 8 .

31. محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير (الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التفسير) ، تح عبد الرحمان عميرة ، الجزء4.

32. محمد بن يوسف: الشهير(بأبي حيان الأندلسي) ، تفسير البحر المحيط ، دن دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1 1994 ، ج6.

33. محمد حسين عبد العزيز: علم اللغة الاجتماعي.

34. محمد حسين عبد ربه: علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1 2009.

35. محمد لخضر الصبيحي: المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص لمرحلة التعليم الثانوي ،أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراء دولة، إشراف ،سمية بن مالك ، جامعة قسنطينة 2004_ 2005.

36. محمود عكاشة : النظرية البراغمتية اللسانية التداولية ، مكتبة الآداب، القاهرة ط1.

37. محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دن دار المعارف الجامعية الإسكندرية ط1 2006.

38. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي.

39. ابن منظور: لسان العرب ،تح عبد الله الكبير،محمد أحمد حسيب الله ،محمد الشاذلي ، دار المعارف القاهرة د.ط. د.ت ،مادة (د.و.ل) ، ج16.

40. نواري السعودي: تداولية الخطاب الأدبي.

41. نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة ، مراجعة نجوى نصر بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، ط1 ديسمبر 2009 بيروت.

_ المراجع الأجنبية

41.(how to do things with words).Austin.j–

42 initiation aux méthodes de l'analyse du déscours

- Voir; Austin.How to do things with words. Oxford University press 1975

المقدمة :أ.ب.ج.د.هـ.

الفصل الأول: اللغة وإستراتيجية الخطاب تداوليا1.

المبحث الاول: التعريف بالتداولية1.

1. التداولية عند الغرب ص1.
2. التداولية عند العرب ص2.
   أ – لغة ص3.
   ب –إصطلاحا عند العرب ص4 .
   ج –إصطلاحا عند الغرب ص5.
3. أدوات التداولية ص7.
   أ – متضمنات القول ص7.
   – الافتراض المسبق ص8.
   – الأقوال المضمرة ص8.
   ب –الاستلزام الحواري ص8.
4. علاقة التداولية بكل من: البلاغة، اللسانيات، علم الدلالة، تحليل الخطاب ص9.
   أ – التداولية والبلاغة ص9.
   ب –التداولية واللسانيات ص10.
   ج –التداولية وعلم الدلالة ص11.
   د – التداولية وتحليل الخطاب ص11.
5. الأفعال الكلامية عند "أوستين" و" سيرل" ص12.
   أ – فعل القول ص13.

ب –الفعل الإنجازي ص13.

ج –الفعل التأثيري ص14.

6. إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من طرف "سيرل" ص14.

أ – الاخباريات ص15.

ب –الوعديات (الإلتزاميات) ص15.

ج –التوجيهيات ص16.

د –التعبيريات ص16.

هـ –الاعلانيات (الايقاعيات) ص16.

المبحث الثاني: الإستراتيجية الخطابية ص17.

1. الخطاب في التراث العربي ص17.
2. مفهوم الخطاب في العصر الحديث ص17.
3. التداولية وتنوع مرجعيات الخطاب ص19.
4. الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب (البراغماتية) ص21.
5. الخطاب القرآني في ضوء الدراسات الحديثة ص22.

الفصل الثاني: التحليل التداولي الحجاجي "لسورة النور" ص26.

المبحث الأول: أساسيات الدراسة ص26.

1. التعريف بمدونة البحث ص26.
2. المنهج المتبع في تحليل السورة ص26.
3. سبب نزول "سورة النور" ص27.
4. المعنى الإجمالي للسورة ص29.

المبحث الثاني: التحليل التداولي للبنى الحجاجية "لسورة النور" ص30.

أولا: تقسيم السورة إلى مقاطع. ص30.

- المقطع الأول ص30.
- المقطع الثاني ص30
- المقطع الثالث ص30.
- المقطع الرابع ص31.
- المقطع الخامس ص31.
- المقطع السادس ص32.
- المقطع السابع ص32.
- المقطع الثامن ص32.
- المقطع التاسع ص33.
- المقطع العاشر ص33.

ثانيا: التحليل التداولي الحجاجي "لسورة النور" ص34.

- المقطع الأول: تقرير حرمة الزنا ووجوب الابتعاد عنها ص34.
- المقطع الثاني: التغليظ من أمر القذف ورمي المحصنات بغير حق ص35.

1.2- التحليل التداولي الحجاجي للآيات ص36.

أ - الفعل الكلامي الأساسي : تحريم القذف ص31.

ب -التحذير من أمر القذف ص31.

ج -الأفعال الكلامية الداعمة ص31.

2.2- إعطاء الحلول لمن اتهم شخص ببينة ص37.

أ - الأفعال الكلامية الداعمة ص37.

ب -تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية ص38.

– الأفعال الكلامية الحجاجية لحرمة القذف ص38.

ج –بنية الأفعال الكلامية ص38.

د –الأفعال الكلامية الحجاجية في إيجاد الحلول لمن اتهم شخص ببينة ص39.

– بنية الفعل الكلامي الأول ص40.

– بنية الفعل الكلامي الثاني ص40.

هـ –الروابط الحجاجية ص50.

المقطع الثالث: تبرئة الله تعالى لعائشة أم المؤمنين ص43.

1.3– عتاب الله تعالى لمن وقع في عرض أم المؤمنين ص47.

2.3– الإشادة ببراءة عائشة رضي الله عنها ص50.

– أطراف العملية الحجاجية ص51.

المقطع الرابع: تحريم دخول البيوت من غير استئذان ص52.

1.4– سد ذرائع الوقوع في الإعراض ص52.

2.4– تحريم دخول البيوت بغير استئذان ص52.

– سد ذرائع الوقوع في الفواحش ص53.

– أطراف العملية الحجاجية وسياقها الحجاجي ص53.

3.4– التحليل التداولي الحجاجي للخطاب ص54.

أ – الأفعال الكلامية وبعدها الحجاجي ص54.

ب –الروابط الحجاجية والسلم الحجاجي ص56.

المقطع الخامس: ما شرعه الله لعباده المؤمنين ص60.

1.5- البعد الحجاجي في تشريع النكاح ص60.

2.5- التحليل التداولي الحجاجي للمقطع ص61.

- المعنى الإجمالي.

3.5- تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية ص63.

أ - الأفعال الكلامية الحجاجية لتشريع النكاح والحث عليه ص63.

ب -بنية الأفعال الكلامية ص63.

ج -الروابط الحجاجية والسلم الجاجي ص64.

د -أطراف العلمية الحجاجية وسياقها الحجاجي ص64.

المقطع السادس: بيان عظمة الله عز وجل ص66.

1.6- التحليل التداولي الحجاجي للمقطع ص66.

- المعنى الإجمالي.

2.6-تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية ص67.

أ - الأفعال الكلامية الحجاجية في بيان عظمة الله ص67.

ب -بنية الأفعال الكلامية ص68.

المقطع السابع: التذكير بقدرة الله وسلطانه على جميع خلقه ص68.

1.7- التحليل التداولي الحجاجي للمقطع ص69.

- المعنى الإجمالي.

2.7- تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية ص70.

- الأفعال الكلامية الحجاجية في الدلالة على قدرة الله ص70.

المقطع الثامن: بيان حال المنافقين ص71.

1.8- التحليل التداولي الحجاجي للمقطع ص71.

- المعنى الإجمالي.

2.8- تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية ص74.

أ - الأفعال الكلامية الحجاجية لإظهار حقيقة المنافقين ص74.

ب -بنية الأفعال الكلامية ص74 .

ج -الروابط الحجاجية والسلم الحجاجي ص75.

المقطع التاسع: معالجة مظهر من مظاهر الوقوع في الزنا ص77.

1.9- التحليل التداولي للمقطع ص.78

- المعنى الإجمالي.

2.9- تحليل الأفعال الكلامية وقوتها الحجاجية ص80.

أ - الأفعال الكلامية في تشريع الاستئذان ص80.

ب -بنية الأفعال الكلامية ص80.

المقطع العاشر: دلالة إعجاز القرءان وأنّه من عند الله. تكامل حروفه وسياقاته ص81.

1.10- التحليل التداولي الحجاجي للمقطع ص81.

- المعنى الإجمالي
- الخـــــاتمة

تعدّ التداولية من أحدث المناهج التي استطاعت أن تفرض وجودها على ساحة العلوم اللّسانية لتناولها مواضيع ذات صلة مباشرة بواقع الاستعمال اللغوي ؛ من خلال اهتمامها بسياق الخطاب ، ورصدها لمقاصد المتخاطبين ، وكيفية تبليغها والاستدلال عليها أثناء العملية التخاطبية ؛ فالتداولية تجعل الفعل اللغوي حدثا في العالم يسعى إلى التعبير عن طريق التواصل من خلال إتاحتها لأفعال الكلام ، وذلك لتحليل الخطاب وفق منهجية لسانية حديثة ، من خلال نضرتها للكلام بوصفه فعلا لغويا يدل عليه قصد المتكلّم.

كما ترمي هذه الأفعال إلى إنجاز الأشياء بالكلمات ، أو صناعة أفعال عن طريق التأثير في المخاطب.

Pragmatics is one of the most modren currcula that has bon able to impose its presence on the field of linguistics to deal with subjects selated directly to the use of language through its interest in the context of the discousse and its monitoring of the purposes of the communicatois and haw to inform them during the process of pragmatics.

Pragmatics makes lingiustic act an event in the world soks to express though the communication through the availability of the acts of spoch to analyze the spoch according to a modern linuistic methordalogy theough the view of spoch as a lingiustic fact indicates the speaker ' s intent.

These actes are also intencled to accomplish things in words or to creat actions by influencing the addresso.